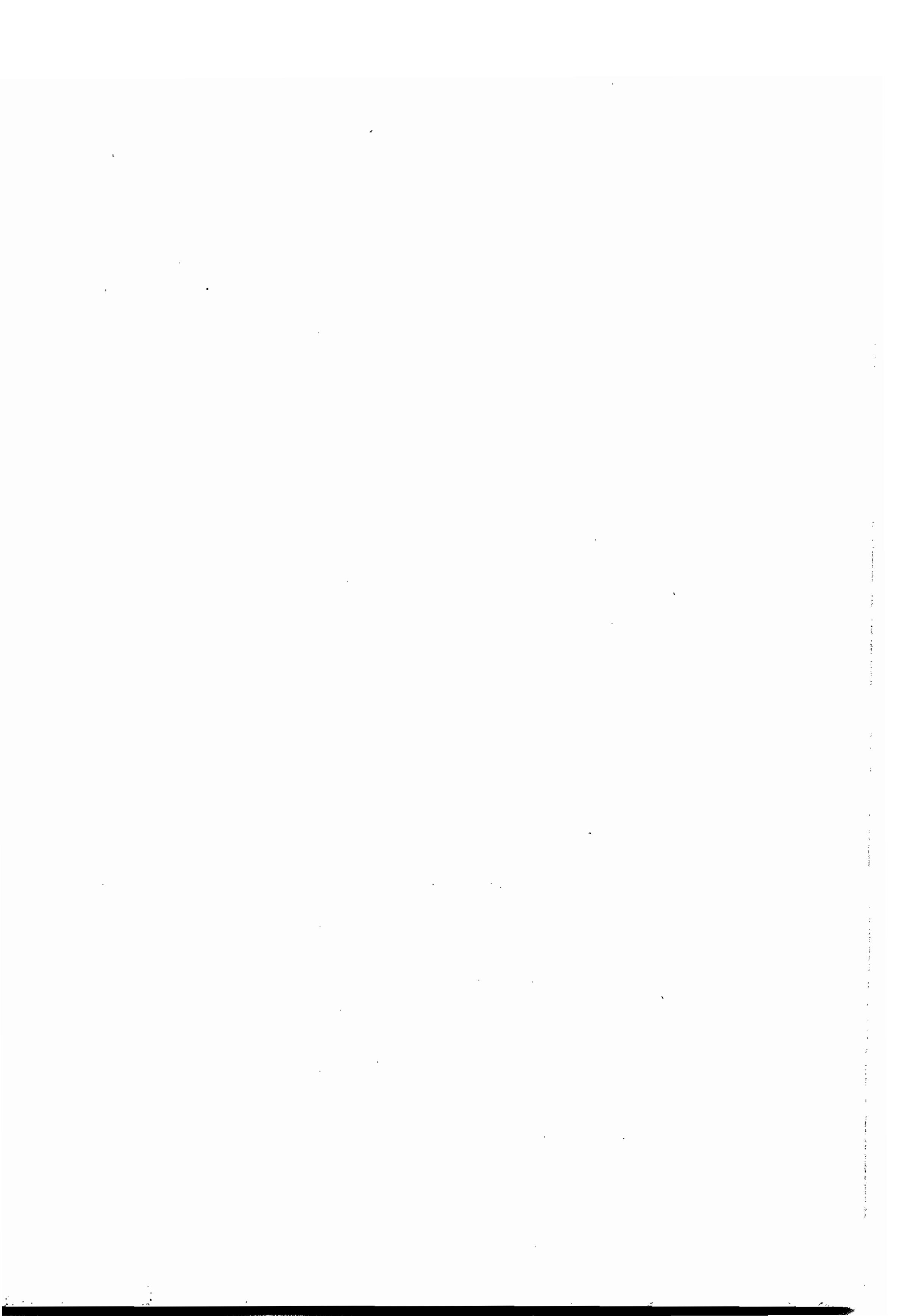
تحقيق التراث

فتح الجليل للعبد الذليل
رسالة للسيوطي
في
إعجاز آية من القرآن الكريم

دراسة وتحقيق وشرح وتعليق

الدكتور
محمود محمد داود
الأستاذ المساعد بالكلية



الآيـــة

بسم الله الرحمن الرحيم

« الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون » .

صدق الله العظيم

مقدمة

أحمد الله المحمود بكل لسان ، الذى خلق الإنسان علمه البيان ، وأنزل القرآن الكريم حجة على الثقلين من الإنس والجان ، لجمله المدلول والدليل والمنهج والبرهان .

وأصلى وأسلم على أفصح ولد عدنان سيدنا محمد وآله وصحبه ومن تبعهم بإحسان :

وبعد : فهذه آثاره تدل عليه ، وأعنى بذلك هذه الرسالة التى خلفها السيوطى فى هذه الآية الكريمة ، وكشف بتأليفها قولا وفعلا عن أسرار إعجاز القرآن الكريم . فقد وضع أيدينا بها على هذه الأسرار ، وأغنانا بها عن حمل الأسفار فى الظعن والأسفار ، وإذا كان من المألوف عند محقق التراث ، دراسة حياة صاحب الكتاب أو الرسالة موضوع التحقيق والعوامل التى أثرت فى تكوين شخصيته العلمية ، وذكر شيوخه وتلاميذه وآثاره ومنهجه فيها ، للخروج من ذلك كله إلى تقويم النص المحقق ، وإخراجه فى الصورة التى يغلب على الظن فيها أنه قول المؤلف ، إذا كان هذا هو المألوف فإنى استسمح القارىء الخروج على هذا المألوف ، وجعل الدراسة فى قضية إعجاز القرآن الكريم ، التى أعتبر هذه الرسالة على إيجازها ، هى شهود الاثبات فيها ، وفصل الخطاب فى حقيقة الإعجاز ووجهه والقدر الذى يقع به ، وسآتى بها موجزة أيضا مراعاة المقام ، وسوف نعلم بعد الانتهاء من قراءتهما ، أن هذه الرسالة المسماة « فتح الجليل للعبد الذليل » هى الشعاع الذى يدل على شمسه ، والعنوان الذى ينم بسطرسه ، والتى يستغنى بها القارىء عن المعارف التى يبغيها من دراسة

المحقق لشخصية المؤلف ، هذا فيما لو كان المؤلف مجهول الشخصية والمنزلة ، أما والمؤلف هو السيوطى فخر مصر والإسلام ، فإن الحديث عن علمه ومكانته يكون من تحصيل الحاصل وفضول الكلام .

وأشرع فى المقصود سائلا المولى المعبود ، أن يصحبنى بالتوفيق والسداد ، إنه أعظم مسئول وأكرم مجيب .

(ماذا يراد بإعجاز القرآن الكريم)

لا يخفى على ذى لب ، أن ذلك العنوان الذى سمى به هذا العلم من العلوم القرآنية ، يراد به تمييز هذا العلم وتشخيصه بأنه المباحث المتعلقة بالقرآن الكريم من جهة كونه آية مصدقة لدعوى النبى ﷺ الرسالة مع بيان وجه الإعجاز وما يرد عليه من اعتراض وما يجاب به حتى تسلم الدعوى ويتم الاستدلال . إذ هو مركب إضافى من مصدر مضاف إلى فاعله محذوف المفعول ، أما المصدر فهو مصدر الفعل الرباعى أعجز ، وإضافته للقرآن لبيان أنه الذى أوقع فى العجز ، وحذف المفعول لبيان شمول العجز لأمة الدعوة من عرب وغير عرب ، فى عصر الرسالة أو ما بعده من العصور . لكن خرجت بعض الدراسات لمسائل هذا العلم من هذا الفلك الذى كان ينبغى أن تدور فيه ، وما ذاك إلا لأنه نشأ وترعرع فى بيئة غير سوية ، هى بيئة الصراعات المذهبية العقائدية لا الفقهية ، وانتصار كل فرقة أو طائفة لما تراه من معتقدات ونحل .

ومما يثير الدهشة ويدعو إلى العجب ، ذلك الاختلاف فى أمر الإعجاز ووجهه ، مع أن القرآن الكريم قد حدد الإطار الذى يعيش فيه هذا العلم سلبيا معافى ، بحديثه عنه حديثاً لامساغ للعذر من فهمه ، أو الاشتباه فيه ، فقد قال منزله جل شأنه فيه « نزل به الروح الأمين على قلبك

لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين)[1] ويقرر الأسلوب في هذه الآيات كما بينته في كتابي « توفيق الرحمن في شرح أنواع من علوم القرآن » أنه نزل بلفظه ـ أيضا ـ على النبي ﷺ ، إذ المنزل بغير لغة الإنسان لا ينزل إلا على السمع فقط ، كما تراه من حالة المخاطب بغير لغته الذي يفكر في اللفظ أولا ، ثم يبحث عن معناه بعد أن يتثبت منه[2] ، وحينما خيل الوهم لأحدهم نسبة القرآن الكريم إلى بشر غير الرسول ﷺ ، جلس إليه وتعلم منه ، لم يصور لهم الوهم خيالا صحيحا يلبس على غيرهم ، بل كان كما بين القرآن الكريم ، خيالا فاسداً سفه به أحلامهم . قال عز وجل « . . لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين »[3] . ، وحينما قالوا « أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا » رد عليهم بقوله قل أنزله الذي يعلم السر في السموات والأرض . . »[4] ، ولأنه أنزله للدلالة على صدق الرسول ﷺ طلب منهم الإتيان بمثله « فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين »(٥) ومما لا يعذر أحد بجهالته أن المعنى : إن كانوا صادقين في أنه من قول بشر فليأتوا بحديث مثله ، ومما تعرفه العرب من لغتها ، أن جواب الشرط المحذوف هو هذا الذي أظهرته بمعونة ما قبل الأداة ، إذ الجواب لا يتقدم عليها ، وحينما نسبوه إلى الرسول ﷺ ، وهي شبهة بهائية من الوجاهة عن السابقة مع فسادها هي الأخرى قال مردداً الشبهة وشافعا لها بالإجابة عليها بأسلوب التحدي « أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله

---

(١) سورة الشعراء الآيات « ١٩٣ . ١٩٥ » .

(٢) انظر ص ٣٦ ، ٣٧ ط دار الكتب الدينية بالأزهر .

(٣) سورة النحل الآية « ١٠٣ » .

(٤) سورة الفرقان الآيتان « ٥ ، ٦ » .

(٥) سورة الطور الآية « ٣٤ » .

إن كنتم صادقين »(١) ثم بالغ في التحدى فقال « وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين ، فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين »(٢) ، وبلغ من التحدى منتهاه فقال « قل لئن اجتمعت الإنس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً »(٣)

بمثل ذلك تحدث القرآن عن كونه هو المعجزة ، وعن وجوه الإعجاز فيه لأن الحديث أو السورة يحتوى كل منهما على كثير من وجوه الإعجاز التى تذكر من غير وجه الفصاحة والبلاغة ، وإن كنت أرى منذ زمن إعدادى لرسالة الدكتوراة فى أول العقد الثامن من هذا القرن ، أن الوجوه الأخرى حتى وجه الإعجاز العلمى ، يرجع إلى وجه الإعجاز البيانى أيضا ليحدثه عن الكائن بما يفهمه العالمون ويضيف إلى علمهم وما يفهمه غيرهم أيضا .

لكن ظهر فى دراسات الإعجاز غير هـذا ، وأبدأ بالاشارة إلى ما تفكر فيه بعض العقول فى هذه الأيام لنروح به عن أذهاننا ، ونخرجها - لفترة من الوقت - من هذا الجو على طريقة السلف فيما يسمى عندهم بالإحماض .

تطرق حديثى ذات يوم فى درس التفسير لطلبتى إلى ذكر لفظ الإعجاز والتحدى فانبرى إلى أحد الطلبة يقول ليس هناك ما يسمى إعجاز أو تحدى ، هكذا قال أحد أساتذة البلاغة لنا ، لأن القرآن لا يصح أن

---

(١) سورة هود الاية « ١٣ » .

(٢) سورة البقرة الايتان « ٢٣ » ٢٤ » .

(٣) سورة الاسراء الاية « ٨٨ » .

نجعله فى مقام المقارنة بالكلام البشرى كما لا يصح أن نجعل الله تعالى فى مقام البشر بالقول بأنه يتحداهم ؟!

هو كلام حق كما نرى دافعه الإجلال لله عز وجل ولكتابه ، ولكنه لو زاع وانتشر لردده الملحدون يريدون به الباطل من نفى الإعجاز عن القرآن الكريم ، أو إفهام العامة انه ليس معجزا ، وقد كان ردى بما يناسب المقام ، وهو أن طلب الإتيان بمثله أو بسورة والإخبار بعدم الاستطاعة ، هو التحدى والعجز بعينه ، ولذا سمى العلماء الطلب تحديا وعدم الاستطاعة عجزا ، وبالنسبة بينهما إعجازاً ، صنع ذلك إمام البلاغة والبلاغيين عبد القاهر الجرجانى بتسمية كتابه « دلائل الاعجاز » ، والإمام الباقلانى والرمانى فى إعجاز القرآن ، ومصطفى الرافعى أحد رواد الأدب فى هذا القرن فى كتابه إعجاز القرآن والبلاغة النبوية هكذا اصطلحوا فى جميع العصور على هذه التسمية دون نكير ، لأنه لا مؤاخذة شرعية أو لغوية على ذلك وقد ارتضيت هذه الاصطلاحات منهم ، وأنا استعملها ، أما من ينكر فعليه الإتيان بالبديل ، حتى لا يكون من يهدم ولا يبنى هذا عن التحدى والإعجاز فى هذا العصر .

(القول بالصرفة)

أما فى العصور الأولى لظهور هذا العلم وتلك الأبحاث القرآنية المتصلة بالوجوه التى كان بها الإعجاز فقدظهر مايسمى بالإعجاز بالصرفة . وبعض من قال بها يفسرها بمعنى : أن الله منعهم بالإلجاء على جهة القسر من المعارضة مع كونهم قادرين على الإتيان بمثل القرآن ، وسلب قواهم عن ذلك ، وهو المشهور فى تفسيرها .

وبعضهم يفسرها بمعنى : أن الله سلب دواعى العرب إلى المعارضة

مع أن أسباب توفر الدواعي في حقهم حاصلة من التقريع بالعجز والتكليف بالانقياد ومخالفة الأهواء.

وفريق ثالث يفسرها بمعنى : أن الله سلبهم العلوم التي لا بد منها في الاتيان بما يشاكل القرآن ، أعم من أن تكون حاصلة لهم فأزيلت عنهم أو غير حاصلة لكن الله صرف دواعيهم عن تحصيلها . وهو مذهب ابن سنان الخفاجي ، ذكر تلك المعاني بإطناب ابن حمزة العلوي في كتابه « الطراز » ، وهي بأي معنى تنفي الإعجاز عن القرآن الكريم ، مع أن بعض مشركي العرب كما نعرف وهم من العرب الخلص ، نفوا أن يكون في مقدور الجن أيضا لعلمهم بأشعارهم كذلك ، لا أشعار الإنس فقط .

وليس العجب من ظهور هذا القول في عصر اتسعت فيه دوائر البحوث العلمية ، وكثرت الخلافات المذهبية ، وتعددت النحل ، وتفرقت الأهواء والسبل واحتدمت المعارك وقويت الخصومة ، لأنه يعلل حينئذ بأنه قول ضال لفرقة ضالة قالته لمحاربة الإسلام باللسان بعد أن عجزت عن محاربته بالسنان ، لكن يبلغ العجب أشده ، والدهشة ذروتها حينما تعلم أن هذا الرأي ينسب إلى أئمة من المعتزلة وأهل السنة والشيعة والظاهرية وغيرهم من أهل العلم ، الذين لو قالوا هذا الرأي بهذا المعنى المذكور آنفا ، لكان هذا الرأي دون قدرهم بل دون علمهم بل دون لسانهم ، على حد تعبير الأستاذ مصطفى صادق الرافعي عن قول النظام في كتابه إعجاز القرآن فقد نسب القول بالصرفة هذا إلى إبراهيم ابن سيار النظام ، الذي يقول عن تلميذه وشبله الجاحظ - والشبل في المخبر مثل الاسد : يقولون في كل ألف سنة رجل لا نظير له ، فإن كان ذلك صحيحا فهو أبو إسحاق النظام ، والأشد غرابة أن ينسب إليه أيضا - مع أنه شيطان المتكلمين كما يلقب مبالغة في بيان منزلته - القول بالإعجاز البياني ، فقد نسب ذلك إليه الدكتور يوسف البيومي في مجلة الأزهر العدد الخامس لسنة ١٩٦٣ م .

ونسب القول بالصرفة كذلك إلى « الأستاذ » ـ فهكذا يلقب عند أهل السنة ـ وهو أبو إسحاق الاسفرائيني ، يقول صاحب المواقف : عضد الملة والدين الإيجي : وقيـــل بالصرفة ، فقال الأستاذ والنظام صرفهم الله مع قدرتهم ، وقال المرتضى ـ وهو من الشيعة ـ : بل سلبهم العلوم التي يحتاج إليها في المعارضة ، وقد بين السيد الشريف الجرجاني شارح المواقف أن المقصود بالأستاذ هو أبو إسحاق الإسفرائيني ـ ذكر هذا في كتاب النبوات من المواقف ، وكذلك نسب الشهرستاني في الملل والنحل له الجزء الأول ، القول بالصرفة إلى أحد أصحاب الأشعري دون تعيين والظاهر أنه يعني به أبا إسحاق قال : والقرآن عنده ـ يريد الأشعري معجز من حيث البلاغة والنظم والفصاحة ، إذ خير العرب بين السيف وبين المعارضة ، فاختاروا أشد القسمين اختيار عجز عن المقابلة . . . ثم يقول : ومن أصحابه من اعتقد أن الإعجاز في القرآن من جهة صرف الدواعي وهو المنع من المعتاد ، ومن جهة الإخبار بالغيب .

ونسب القول بالصرفة ـ كذلك إلى الشريف المرتضى من الشيعة ، وإلى الجاحظ تلميذ النظام ، وكما نسب إلى الجاحظ القول بالصرفة نسب إليه أيضا القول بالإعجاز البياني ، قال عنه صاحب المواقف في كتاب النبوات ، وكـذلك وقـــع في كتب الجاحظ مثل « الحيوان » ، والبيان والتبيين » . يقول صاحب المواقف : وقيل ـ أي في إعجاز القرآن ـ كونه في الدرجة العليا من البلاغة التي لم يعهد مثلها ، وعليه الجاحظ . ويؤيد هذا من كلام الجاحظ نفسه ، قوله : إن القرآن معجز من ناحية أسلوبه ، وتارة يقول : من ناحية نظمه ، وأخرى يقول : وفي كتابنا المنزل الذي يدل على أنه صدق ، نظمه البديع الذي لا يقدر على مثله العباد . ويذهب الجاحظ إلى أبعد من هذا في كتابه البيان والتبيين ،

إذ يقول عن النبي ﷺ : إن العرب لا يستطيعون أن يساموا النبي ﷺ في فصاحته وأن يجاروه في بلاغته .

ويعرض للقول بالصرفة على هذا النحو : ومثل ذلك ما رفع من أوهام العرب وصرف نفوسهم عن المعارضة للقرآن بعد أن تحداهم الرسول بنظمه ولذلك لم نجد أحدا طمع فيه ، ولو طمع فيه لتكلفه ، ولو تكلف بعضهم ذلك لجاء بأمر فيه أدنى شبهة لعظمت القصة على الأعراب وأشباه الأعراب والنساء وأشباه النساء ، ولألقى ذلك للمسلمين عملا ، ولطلبوا المحاكمة والتراضي ببعض العرب ولكثر القيل والقال ، فقد رأيت أصحاب مسيلمة وأصحاب بني النواحة ، إنما تعلقوا بما ألف لهم مسيلمة من ذلك الكلام الذي يعلم كل من سمعه أنه إنما عدا على القرآن فسلبه وأخذ بعضه وتعاطى أن يقارنه ، فكان لله ذلك التدبير الذي لا يغلبه العباد ولو اجتمعوا له - أنظر الجزء الرابع من الحيوان - .

وهذا التناقض في رأى الجاحظ جعل الرافعي يعلق على ذلك بقوله : وقد يكون استرسل بهذه العبارة لما في نفسه من أثر استاذه ، وهو شيء ينزل على حكم الملابسة ويعترى أكثر الناس إلا من تنبه له أو قد يكون ناقلا ولا ندرى .

ولم يرض هذا التعليق الأستاذ الدكتور على العماري من جهة أن من كان في مكانة الجاحظ لايعتريه مثل ذلك ، إذ ينأى بنفسه عن التقليد والتأثر بالغير ، ويرى توفيقا بين رأيه : أن العرب ما كانوا ليستطيعوا أن يقولوا شيئا في مرتبة القرآن وإنما كان في مقدورهم أن يقولوا كلاما يشتبه فيه الأمر على الأعراب وأشباه الأعراب ، وأنهم عجزوا عن الأولى لأنها فوق طاقتهم ، وصرفوا عن الثانية لئلا يكون القرآن موضع جدل ومحاكمة

وتراخى ، وعلى هذا نفهم رأى النظام والجاحظ فى الصرفة وتحلهما أن يقولا إن بلاغة القرآن فى متناول العرب . ـ أنظر كتاب : حول إعجاز القرآن ـ سلسلة الثقافة الإسلامية عدد (٤٤) .

كما جعل هذا الاختلاف أحد الباحثين فى هذا الميدان ، وهو الأستاذ الدكتور / حفنى شرف يرجعه إلى أن المعتزلة ابتدأوا فى بحوثهم حول إعجاز القرآن بالقول بالصرفة وانتهوا إلى القول بالإعجاز البيانى . قال ذلك فى تقديمه لكتاب تحرير التحبير لابن أبى الأصبع الذى حققه .

ورجعت أنا هذا الاختلاف خاصة وأن المعتزلة لا يقولون بالصرفة وحدهم ـ إلى الاختلاف فى بعض المسائل الاعتقادية كالقول بأن الإنسان يخلق أفعال نفسه الاختيارية أولا ، يقول بالأول : المعتزلة ، ويلزم من هذا القول أن العرب فى مقدورهم الإتيان بمثل القرآن ، فإذ لم يأتوا فما ذلك إلا لمنع الله لهم ، أى منعوا بأمر خارج عن اختيارهم .

وقلت : لعل أهل السنة أيضا الذين قالوا بالصرفة قالوا بها أيضا من هذا المنطلق وهو أن الله هو الفاعل لجميع الأشياء ، أى منعهم عن اكتساب ذلك ، بلغتهم فى علم الكلام ، قلت ذلك ، وما شجعنى عليه إلا أن البيئة التى نشأ فيها هذا القول كانت خلافاتها فى مثل هذه المسائل ، ثم خلو كتب المعتزلة من الانتصار لهذا الرأى ومن التصريح بأن معناها نفى الإعجاز عن القرآن ، فضلا عن أن آراء المعتزلة غالباً ما كانت مأخوذة من كتب خصومهم مما يبعث على الشك فى نسبتها إليهم بهذه المعانى التى تنقص من قدرهم وتفكيرهم ، ولم ينبر للانتصار للقول بالصرفة بمعنى منع العرب عن المعارضة مع قدرتهم عليها فيما أعلم إلا ابن حزم الظاهرى ، وابن سنان الخفاجى الأول فى الفصل والثانى فى سر الفصاحة وكلاهما

يتتصير بضرب من التكلف لتهافت الرأى أصلا ، وابتنائه على غير أساس ، حتى أن ابن حزم يناقض نفسه هو الآخر فيقول عن البلغاء : فما منهم أحد يتكلف معارضته - يعنى القرآن - إلا افتضح وسقط وصار مهزأة ومعيرة يتماجن به وبما أتى به .. منهم مسيلمة بن حبيب الحنفى لما رام ذلك لم ينطق لسانه إلا بما يضحك الثكلى فتكلف المعارضة من مسيلمة يعنى أنهم لم يمنعوا ، وافتضاح المعارض يعنى أن إعجاز القرآن فى فصاحته. ومع هذا يقول : وقد ظن قوم بأن عجز العرب ومن تلاهم من سائر البلغاء عن معارضة القرآن إنما هو لكون القرآن فى أعلا طبقات البلاغة ، وهذا خطأ شديد ، ولو كان كذلك ، وقد أبى الله عز وجل أن يكون لما كان حينئذ معجزة لأن هذه صفة كل سابق فى طبقته ، والشيء الذى هو كذلك وإن كان سبق فى وقت ما فلا يؤمن أن يأتى فى غد ما يقاربه . بل ما يفوقه ؟ !

لا يعنينا هذا الكلام الآن بقدر ما يعنينا النصوص التى استدل بها على أن القرآن ليس فى أعلا طبقات البلاغة ، وسأعود إليها بعد قليل ، لأنها هى نفسها التى يستدل بها غيره على عكس مدعاه ، وأنهى هذا المقام بتطبيق حكمة قالها أحد فلاسفة الغرب هى ؛ أن الناس إذا رأوا الحقيقة اتفقوا عليها ، وإذا اختلفوا فهم لم يروها . فعدم اتفاق القائلين بالصرفة على معناها دليل على أن القول بها لا حقيقة له ، بل هو من نسج الخيال ، وتردد الاعجاز البيانى على لسان القائلين بالصرفة ، مع قول غيرهم به وحده ، ، معناه أنه هو وحده الحقيقة دون غيره .

هذا من يريد تفنيد مذهب الصرفة والرد عليه فعليه بالجزء السادس عشر من كتاب المغنى فى أبواب التوحيد والعدل ط دار الكتب للقاضى عبد الجبار الأسد آبادى ، أحد أئمة الاعتزال [ص ٢١٨ : ٢٢٠] ، الرسالة الشافية للإمام عبد القاهر الجرجانى (ص ١٤٦ : ١٥٤) ط دار المعارف

بالهند مع رسالتين للخطابي والرمانى بعنوان : ثلاث رسائل فى إعجاز القرآن ، ذخائر العرب « ١٦ » .

(الإعجاز البيانى واحتواؤه على الأوجه المعتبرة)

يتفق العلماء قديما وحديثا على هذه الوجوه لإعجاز القرآن الكريم ، ولا ينكرون إلا إنفرادها بالاعجاز حيث لا يوجد بعضها فى كل سورة سورة من القرآن الكريم ، وإنما يوجد هذا الوجه فى هذه السورة ولا يوجد فى تلك ، يوجد فى تلك توجد مالا يوجد فى هذه ، ويوجد فى ثالثة مالا يوجد فى الآخريين وهى كما فى الكتب الخاصة بالاعجاز وغيرها كما اشفا – مثلا – القاضى عياض :-

(أ) فصاحته وبلاغته فى مفرداته ونظمه .

(ب) ماتضمنه من الاخبار عن الكائن فى مستقبل الزمان ، أو ما يعبر عنه البعض بالغيوب المستقبلة .

(ج) ما تضمنه من الاخبار عن أحوال الأمم السابقة .

(د) تشريعاته وهداياته .

وعلى الوجه الأول الأكثرون من أهل النظر – كما يقول الخطابى فى رسالته بيان إعجاز القرآن وهى أولى الرسائل الثلاث المشار إليها منذ قليل – بيد أنهم إذا سئلوا عن تحديد هذه البلاغة التى اختص بها القرآن ، الفائقة فى وصفها سائر البلاغات ، وعن المعنى الذى يتميز به عن سائر أنواع الكلام الموصوف بالبلاغة ، قالوا إنه لا يمكننا تصويره ولا تحديده بأمر ظاهر نعلم به مباينة القرآن غيره من الكلام ، وإنما يعرفه العالمون به عند سماعه ضربا من المعرفة لا يمكن تحديده ، وأحالوا على سائر أجناس الكلام الذى يقع منه التفاضل فتقع فى نفوس العلماء به عند

صناعة مقرونة ذلك . . . وهذا لا يقنع – والقول للخطابي – في مثل هذا العلم ولا يشفي من داء الجهل به ، وإنما هو إشكال أحيل به على إبهام [أنظر ص ٢٤ ، ٢٥] .

ولم يرتض الخطابي ذلك الذي يقول به الكثير من أنه قد توجد لبعض الكلام عذوبة في السمع وهشاشة في النفس لا توجد مثلها لغيره منه ، والكلامان معا فصيحان ثم لا يوقف لشيء من ذلك على علة ؛ بل لا بد عنده من سبب بوجوده يجب له هذا الحكم ، وبحصوله يستحق هذا الوصف ، وبعد استقراء لما يصلح أن يكون سببا ، انتهى إلى أن الكلام إنما يقوم بهذه الأشياء الثلاثة : لفظ حامل ومعنى به قائم ، ورباط لهما ناظم - أنظر ص ٢٦ ، ٢٧ - وأخذ يشرح ذلك في بقية رسالته ، ويأتي له بالأمثلة من القرآن الكريم .

والدخول إلى الاعجاز من هذا الباب هو الذي توجه إليه آيات التحدي في القرآن الكريم إلا أنه أغلق على ابن حزم ومن لف لفه ممن انتصر لمذهب الصرفة ، وقد وقع في ظني أنهم ما إلتبس عليهم الحق بالباطل والصواب بالخطأ إلا لأنهم ممن يعرفون الحق بالرجال لا من يعرفون الرجال بالحق ، فقد رأوا النظام والجاحظ وأبا إسحاق الاسفرائيني يقولون بالصرفة فعظمت عندهم لعظم قائليها ونصبوا أنفسهم للدفاع عنها ولننظر كيف التبس الأمر واشتبه على ابن حزم فقال ما قال .

إنه ينطلق من قوله تعالى « قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا »[1] لكنه يسير على هذا النحو فيقول : لا يختلف في أن كل شيء من القرآن

---

(١) سورة الإسراء الآية « ٨٨ » .

قرآن ، فكل شيء من القرآن معجز ، وهذا هو الحق الذى عليه سائر أهل الإسلام ، ويخلص إلى أنه ما دام القليل والكثير معجزا ، فلا يمكن أن يكون ذلك إلا بأن صرف الله العرب عن المعارضة ، ولأن بعض الآيات وردت على لسان المخلوقين ، ولا يقال حينئذ إنها معجزة فلما صارت من كلام الله أصبحت معجزة . وإن كل كلمة قائمة المعنى يعلم إذا تليت أنها من القرآن فإنها معجزة لا يقدر أحد على المجيء بمثلها أبداً ، وأنها متى ذكرت فى خبر على أنها ليست قرآنا فهى غير معجزة .

فبدلا من أن يستدل بالمثلية على أن الإعجاز بهذه الثلاثة معاً ، اللفظ والمعنى والنظم أى موقع اللفظ من الكلام كما فعل الخطابى ، إذ معنى المثلية هو الاتفاق فى الذات والصفات معاً ، بخلاف التشابه فهو فى الصفات فقط ، ويعجبنى تمثيل أحد العلماء المثلين بتمثالين لشخص واحد من ذهب أو من حجر ، أما المتشابهان فيهما كتمثالين لشخص واحد أحدهما من شمع والآخر من حجر ، والمعنى صحيح لأن القرآن استعمل التشابه فى ذلك فى قوله تعالى « وأتوا به متشابها . . »[1] أى متماثلا فى الصفات فقط .

وقال تعالى « ليس كمثله شيء »[2] لينفى عنه جل شأنه المماثلة فى الذات والصفات . فلو كان المعجز إذن ما يسمى قرآنا حتى ولو كان كلمة كما يذهب ابن حزم ، فليس فيه ما يضطرنا إلى القول بالصرفة ، لأن الكلمة لا تكون قرآنا إلا إذا قصد بها المعنى الذى جاءت به فى القرآن ، وارتبطت بغيرها من السابق واللاحق وهو ما يسمى بالنظم . وأمامنا رسالتنا موضوع التحقيق التى بين بها السيوطى من الناحية التطبيقية الاعجاز البيانى بالآية بل بالكلمة ، وليس بأقصر سورة أو ما يماثلها من

(١) سورة البقرة « ٢٥ » .

(٢) سورة الشورى الاية « ١١ » .

الآيات كما هو شائع ، وأضرب لذلك مثلا بلفظ واحد من الآية ، وهو لفظ « ولى » رغم تعدد معانيه ، إلا أنه إذا انفصل عن الآية واستعمله الناس لم يستعمل إلا بمعنى فقط من معانيه أو باثنين على الأكثر ، وكذلك كان قبل أن ينزل فى القرآن . أما وضعه فى الآية وإسناده إلى الله عز وجل فيها فيجعله مرادا به المعانى كلها التى يستعمل فيها فالله تعالى يفعل مع المؤمنين ما يفعله الناصر والحليف والجار وأبناء العم وذوى القربى والمعتق ... مع من ينصرونهم أو يتحالفون معهم إلخ ، ثم يسند مرة أخرى تهكما ومشاكلة إلى الطاغوت ، وغير ذلك مما حوته الرسالة ، وأضرب مثلا آخر من غير الرسالة ، وهو أنه لو قال أحد الناس : أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون . أو قال : أعوذ برب الفلق من شر ما خلق ، أو : أعوذ برب الناس من شر الوسواس . لظنه أى سامع يدعو أو يستعيذ أو يبين معتقده لغيره ، لكن حينما يقرأ ذلك فى القرآن أو على أنه قرآن فلا بد وأن يقـــول « قل يا أيها الكافرون ... » ، « قل أعوذ برب الفلق . إلى آخره ، ولعلم بذلك أنه من كلام الله تعالى وليس من كلام بشر ، بدليل ترديده للفظ « قل » ودلالة هذا النظم — الذى يزيد كلمة واحدة عنه فى كلام البشر — على أنه من عند الله تعالى ، هو الاعجاز بعينه كما بيناه من قبل .

بقى فى هذا المقام أن نبين أن الاخبار عن الأمم السابقة أو الغيوب المستقبلة لا يخرج عن الاعجاز البيانى أيضا ، لأنه لم يسرد الأحداث سردا شأنه شأن كتب التاريخ وما شابهها ، ولكنه تحدث عنها بأساليب بلاغية تثير الشعور والوجدان مع حماية الحقيقة العلمية ، وأوجزها لتحفظ ولهذا يقولون : بلاغة القصة فى الحكاية لا فى المحكى ، هذا ومن يريد الوقوف على كنه إعجازه البيانى فى تشريعاته وهداياته فليقرأ موضوع أساليب الاقناع فى كتابنا « توفيق الرحمن فى شرح أنواع من علوم القرآن »[1] .

---

(١) أنظر (ص ٧٣ : ١٢٧) ط دار الكتب الدينية بالدراسة .

(وصف الرسالة وخطة التحقيق)

كان العثور على رسالة فتح الجليل هـــذه فتحا ، فقد عثرت عليها في أوائل سنة ست وسبعين وتسعمائة وألف في وقت ، كان سور الأزهر يخرج لنا كنوزه بين الحين والحين ، وكنت وقتئذ قد انتهيت من إعداد رسالة الدكتوراة وفي انتظار مناقشتها ، ولي متسع من الوقت لتدبر هذه الرسالة المثيرة ، التي كانت مصدرة بهذا العنوان « فتح الجليل للعبد الذليل . رسالة للسيوطي تتضمن ١٢٠ نوعا من أنواع البديع في آية واحدة من القرآن الشريف ، مذيلة صفحاتها بشرح موضح مـكمل لمباحثها تأليف الفقير إليه تعالى « محمود شريف » ، وعليها هذه الجملة فقط « حقوق الطبع محفوظة » دون ذكر المطبعة ، وقد ختمت بهذا التعليق :

أهمية هذه الرسالة وكيف وجدت : هذه الرسالة تقريبا غير موجوده ويظهر أن النسخة التي وصلت إلى يدي وكتبت عليها هي الوحيدة ، إذ قد جديت في الطلب وراء نظير لها أستأنس به في الكتابة عليها حيث النسخة التي بيدي قد غيرها البلى ومحاها لقدم العهـــد بنسخها فما وجدت حتى في الكتبخانة الخديوية وقد وصلت إلى هذه النسخة بواسطة حضرة عبد الجليل أفندي سعد حيث عثر عليهـا في مـكتبة والده حضرة محمـــد أفنـدي سعد .

وهذه الرسالة تمرين مهم لطلاب علوم البلاغة ، فإنها لم تحتو فقط أنواعا بديعية بل كما رأيت فيها كثير من مباحث علمي المعاني والبيان الدقيقة ، وقد أودعنا في الشرح بصورة واضحة مباحث ثمينة لا يعثر

عليها إلا فى الكتب المطولة التى يقف الفكر متحيرا عند فهم مبحث منها فالله أسأل أن ينفع بها آمين . اهـ ص ١٥ من المطبوعة .

وقد استجاب الله دعوته فى فأفدت منها كثيراً فى تدريسى لمادة التفسير والكشف عن بعض أسرار إعجاز القرآن الكريم ، ثم احتذيتها فى تأليف رسالة فى آية الكرسى بعنوان « هداية القرآن الكريم وإعجازه فى آية الكرسى » تلك التى جاءت فى خمس وستين صفحة من الحجم الوسط ، وكانت ضمن بحوث الترقية إلى أستاذ مساعد ، ولما أكملتها وخرجت إلى الوجود بشىء جديد تغيرت مفاهيمى الدراسية فيما وقع به الاعجاز وازددت إقتناعا بأن جميع أوجه إعجاز القرآن الكريم ترجع إلى وجه الاعجاز البيانى ، خاصة وأن الآية موضوع رسالتنا هذه من القرآن المدنى لأنها من سورة البقرة وكذلك آية الكرسى ، وأن الله تبارك وتعالى وإن كان جعل الإعجاز بالآية الواحدة وأقام بها الدليل على صدق الرسول فى دعواه وأنه مبلغ عن ربه ، إلا أنه جل شأنه لم يتحد بها رأفة ورحمة ولئلا يحرج عباده .

وبعد أن تأكدت منفعة هذه الرسالة عندى بالواقع الذى وصلت إليه ، من القدرة على كشف بعض الأسرار النورانية القرآنية البلاغية بمعونتها ، أردت تعميم النفع بإعادة طبعها محققة وقمت أبحث عن أصول لها مخطوطة قد تضيف جديدا ، رغم ضعف الأمل فى العثور على مثل ذلك نظرا لقول شارحها الأول « محمود شريف » . واقدمت على ذلك إنطلاقا من هذا المقتضى الايمانى « أن يحب الانسان لأخيه مايحبه لنفسه » ومن فضل الله تعالى علىّ لصدق النية والرغبة فى المنفعة وتعميمها عثرت على مخطوطتين للرسالة بمكتبة الأزهر .

١ ـــ الأولى ضمن مجموعة في مجلد بقلم معتاد كتبت سنة ٩٨٩ هـ في القرن الذى توفى فيه السيوطى مسطرتها ١٩ سطراً من ورقة [٢٢٣ / ٢٣٠] ١٨ سم [١١٨٩] مجاميع أباظة ٧٣٤١ وهى مضبوطة بالحركات ، إلا أنها مطموسة كثير من الكلمات بفعل الأرضة وقدمها ، وقد سهل من قراءتها كثرة القراءة في المطبوعة من قبـــل مما أعطانا ألفة ودربة بأسلوب السيوطى فيها ومراده منه ، وقد رمزت لها بالرمز « ا » إشارة إلى تقدمها الزمنى والرتبى أيضا فقد أضافت إلى المطبوعة كثيرا كما نرى ، وقد عنونت هكذا (الكلام على قوله تعالى « الله ولى الذين آمنوا . . . » ويسمى فتح الجليل للعبد الذليل تأليف سيدنا الشيخ الامام العالم العلامة وحيد عصره وفريد دهره جلال الدين السيوطى الشافعى رحمه الله ورضى عنه آمين وكتب في آخرها : قوبلت على نسخة مكتوب عليها بخط السيد الشريف الأرمنوى تلميذ المصنف تغمده الله برحمته . وبالهامش : تم يوم الجمعة في شهر المولد سنة ٩٨٩ نقل من مجموعة عبد الله .

٢ ـــ الثانيـة : نسخة بقلم معتاد كتبت سنة ١٣١٠ هـ في ١٤ ورقة ومسطرتها ١٣ سطرا - ١٧ سم [١٦١٢، ٢٧٦٧٨] وهى بغير ضبط لكنها رغم مضى قرن على كتابتها لم يغيرها البلى وتبدو كما لو كانت جديدة ، وهى تتفق مع المطبوعة في الخطأ والصواب في أكثر من تسعين في المائة ، مما يحملنا على القول بأن أصل المطبوعة توأمها ، وقد عنونت هكذا « فتح الجليل للعبد الذليل في الأنواع البديعية وما يليها تأليف الشيخ الامام العلامة حافظ عصره أبو الفضل جلال الدين السيوطى تغمده الله برحمته ورضوانه آمين . وهى ممهورة بختم عليه هذه العبارة « وقف هذا لله تعالى على أبو ليلى على أهل الأزهر رواق الشرقاوى ١٣٣٧ هـ » وقد استعنت بمكبرة لقراءة هذه العبارة من الختم . وفى نهايتها قال ناسخها : تحرر فتح الجليل للعبد الذليل في الأنواع البديعية وما يليها في يوم الأربعاء المبارك سلخ جمادى الثانية

من شهور سنة ١٣١٠ ألف وثلثمائة وعشرة من الهجرة النبوية على صاحبها أزكى الصلاة وأتم التحية . وقد رمزت إليها بالرمز «ب» للإشارة إلى تأخرها الزمنى عن سابقتها ، ولا تفاقها مع المطبوعة فى الكثير فقد طمأنتنا على دقة شارح المطبوعة فى النقل وتحريه إعطاء صورة صحيحة للمنقول عنه .

٣ — أما المطبوعة فكما وصفت من قبل ، وتقع فى خمس عشرة صفحة مسطرتها ما بين (٢٤ ، ٣٠) بحروف صغيرة فى الشرح . وقد اتخذتها أصلا لا حق أغمط شارحها حقه ، وهو الجندى المجهول الذى كان سببا فى الاطلاع عليها ، ولتجديد حسناته بطبعها مرة أخرى ، ولتكون بدايتى فى التعليق عليها من حيث انتهى فهذا شأن الباحث العلمى ، الابتداء من حيث انتهى الأسلاف حتى يضيف جديدا ، فإنه لو بدأ من حيث بدأوا فقلما يصل ما إلى وصلوا إليه فضلا عن أن يضيف جديدا .

وقد رمزت لها بالرمز «م» إشارة إلى أنها مطبوعة ومتأخرة الزمن عن سابقتها . ووضعت الأصـــل فى أعلا الصفحة ، وشرح الجندى المجهول «محمود شريف» رحمه الله وأجزل ثوابه ، وسط الصفحة بأرقام متتالية من أول الرسالة إلى نهايتها زيادة فى تميـــيزها عن تعليقاتى فى التحقيق والشرح التى جعلتها أسفل الصفحة بأرقام متعاقبة فى كل صفحة على حدة .

والله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم ، وأن يجعله فى ميزان حسناتنا ، وأن ينفع به إنه سميع مجيب ؟

د . حوده محمد داود

مقـــدمة المؤلف

الحمد لله الذى تفضل بتولى أحبابه، وأعرض عمن تولى غيره وأعدّ له أليم عذابه، وأودع عجائب البلاغة فى الألفاظ اليسيرة من آيات كتابه، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وأصحابه.

(وبعد) فقد وقع الكلام فى قوله تعالى «الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون»[1]، وقررت فيها بضعة عشر نوعا من الانواع البديعية، ثم وقع التأمل فيها بعد ذلك ففتح الله بزيادة على ذلك حتى جاوزت الأربعين، ثم قدحت الفكر فلم تزل تستخرج[2] وتنموا إلى أن وصلت بحمد الله [تعالى] مائة[3] وعشرين نوعا، فقد[4] أردت تدوينها فى هذه الكراسة ليستفيدها من له غرض

. . . .

(١) سورة البقرة الاية رقم «٢٥٧» وهى بتمامها كما فى المطبوعة، أما فى المخطوطتين فالى قوله تعالى «إلى النور».

(٢) فى نسخة «ا»: يزل يستخرج. بالياء والبناء للفاعل، أى يستخرج الفكر وتنمو الانواع.

(٣) فى نسخة «ماية» بالتسهيل، وكل الهمزات فيها مسهلة كهذه، بخلاف نسخة (ب) والمطبوعة.

(٤) فى نسخة «ا»: وقد. وهو إغفال للباعث على تدوينها، بخلافه هنا وفى نسخة «ب».

فى الوقوف على أسرار التنزيل راجيا من الله الهداية إلى أقوم سبيل ، فأقول :ــ

١ ــ (فى هذه الآية الكريمة)(٠) الطباق : وهو الجمع بين الضدين وذلك فى ثلاثة مواضع : بين آمنوا وكفروا ، وبين النور والظلمات فى الموضعين(١) .

---

(١) الفرق بين الطباق والمقابلة أن الطباق يحصل بين معنيين اثنين متقابلين ، وأما المقابلة فتحصل بسرد معنيين فأكثر ، ثم سرد ما يقابل كلا من المسرود كما فى قوله تعالى فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا [التوبة٨٢].

---

(٠) أنظر فى بيان الطباق والمقابله ، نهاية الإيجاز للرازى ص٢٨٥ ، ٢٨٦، تحرير التحبير لابن أبى الإصبع ص ١١١ ، ١٧٩ ، وبه كلام نفيس أذكره لنفاسته . قال ابن أبى الإصبع :-
الطباق اللغوى الذى أخذ منه الصناعى هو قول العرب : طابق البعير فى مشية إذا وضع خف رجله موضع خف يده ، وقد رد ابن الأثير على كل من ألف فى الصناعة فى هذا الباب وقال : إن الجمع من تسميتهم الضدين فى هذا الباب خطأ محض . لأن أصل الاشتقاق يقتضى الموافقة لا المضادة ، وهو أولى بالخطأ منهم ، لأن القوم رأوا أن البعير قد جمع بين الرجل واليد فى موطىء واحد ، والرجل واليد ضدان أوفى معنى الضدين . فرأو أن الكلام الذى قد جمع فيه بين الضدين يحسن أن يسمى مطابقا ، لأن المتكلم به قد طابق فيه بين الضدين . ا ه الموضع الأول .
هــــذا ولما كان الجمع بين ضدين مثبتين سمى طباق الايجاب ، والبيت فى استشهاده المقابلة من الشعر للمتنبى [ديوانه ١ / ١٤٠] وانظر تحرير التحبير ص١٨١ ، وقد جمع فيه بين عشرمقابلات ، أزور وأنثنى ، سواد وبياض ، الليـــل والصبح ، يشفع ويغرى ، لى ، بى .

٢ — (وفيها) المقابلة فى ثمانية مواضع : بين [لفظ](١) الجلالة والطاغوت ، وولى وأولياء ، لأن المفرد يقابله الجمع فى هذا الفن ، وبين آمنــوا وكفروا ، ويخرجهم ويخرجونهم لما ذكر ، وبين من وإلى فى الموضعين ؛ لأن من : لابتداء الغاية ، وإلى : لانتهائها ، فهما متقابلان فقد(١) أورد أهل البديع فى المقابلة قول الشاعر :

أزورهم وسواد الليل يشفع لى * وأنثنى وبياض الصبح يغرى بى

فقالوا إن بين « لى ، بى » مقابلة وبين « الظلمات ، والنور » ، والنور والظلمات » .

٣ — (وفيها) ثمان مجازات فى يخرجهم بمعنى يمنعهم من الدخول فيه ابتداء(٢) . وفى يخرجونهم كذلك ، وفى نسبة الإخراج إلى الطاغوت لأنه سبب ، وفاعل الخير والشر على الحقيقة هو على الله(٣) ، وفى أصحاب

---

(٢) ففيه استعارة تصريحية تبعية بأن يقال : شبه المنع من الدخول فى الظلمات بالإخراج منها ، واستعير لفظ المشبه به للمشبه ، واشتق منه يخرجهم بمعنى يمنعهم إلخ .

(٣) ففيه مجاز عقلى وهو إسناد الفعل أو شبهه إلى ما حقه ألا يسند إليه ، وهو يغاير الاستعارة والمجاز المرسل من حيث إن المسند والمسند إليه فيه مستعملان فى حقيقتهما ، وفقط أسند الفعل إلى غير فاعله الحقيقى وهو ضمير الطاغوت .

---

(١) زيادة « لفظ » من النسخة « ب » .
(٢) فى نسخة « أ » وقد بالواو .

النار[٤] ، وفى إطلاق الظلمات على الكفر(٥) ، والنور على الإيمان فى الموضعين .

٤ — (وفيها) التقديم والتأخير فى ثلاثة مواضع : أحدها أنه قدم فى الآية الأولى الجلالة ، وفى الثانية : الذين كفروا ، ولم يقدم الطاغوت حذراً من جعله مقابلا لله ، فإنه أحقر من ذلك ، والثانى أنه قدم الاسم الكريم على الولى فجعله مبتدأ وأخبر عنه بالولى ، وقدم أولياؤهم على الطاغوت [فجعل الأولياء مبتدأ وأخبر عنه بالطاغوت][١] الإشارة إلى أن الطاغوت شىء مجهول تحقيراً له ، فإن القاعدة نحو جعل الأعراف مبتدأ والأخفى خبراً[٢] ، والثالث : تقديم فيها [على خالدون][٣] مراعاة للفاصلة .

٥ — (وفيها) التفنن فى ثلاثة مواضع : إفراد النور وجمع الظلمات فى الموضعين لأن الإيمان شىء واحد ، وطريق الحق واحدة ، والكفر

---

(٤) فيه استعارة بالكناية بأن يقال شبهت النار بدار لها أصحاب ، واستعير لفظ المشبه به للمشبه ، وحذف ورمز إليه بشىء من لوازمه وهو أصحاب ، وإثباته للنار تخييل .

(٥) ففيه استعارة تصريحية أصليه بتشبيه الكفر بالظلمات واستعارة لفظها له ، وكذا يقال فى إطلاق النور على الإيمان .

---

(١) الزيادة من « أ » وفى النسخة كتب لفظ « أولياءهم » هكذا دائما بالهمزة على السطر وهو مخالف لرسم المصحف والإملاء معا .

(٢) أنظر تعليقنا على تقديم الطاغوت هنا فى الفقرة « ٧٥ » حيث استنبط قاعدة من هذا التقديم هناك .

(٣) الزيادة من النسختين « أ ، ب » .

[أنواع] ، والضلالات شتى ، والأهواء والبدع متفرقة وشاهده [قوله تعالى] «وأن هـذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله»[1] ، وقوله ﷺ : تفترق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة ؛ واحدة منها فى الجنة ، واثنتان وسبعون فى النار[2] . وإفراد[3] ولى المؤمنين لأنه واحد ، وجمع أولياء الكفار لتعدد معبودهم .

٦ — (وفيها) التفسير فى موضعين ، فإن جملة يخرجهم وجملة يخرجونهم تفسير بيان[4] للولاية وأهل البديع يسمون ذلك تفسيرا ، وأهل المعانى يسمونه

. . . .

(١) سورة الأنعام الآية رقم «١٥٣» وما بين القوسين من «أ» ، «ب» فى أنواع فقط .

(٢) الحديث رواه الامام أبو داود والامام الترمذى وقال حسن صحيح وابن ماجه عن أبى هريرة «رفعه» بلفظ : افترقت اليهود على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقة والنصارى كذلك ، وتفترق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة كلهم فى النار إلا واحدة ، قالوا من هى يا رسول الله ؟ قال : ما أنا عليه وأصحابى وهو عند ابن حبان والحاكم فى صحيحيهما بنحوه ، وقال الحاكم إنه حديث كبير فى الأصول . ذكر السخاوى فى المقاصد الحسنة أسماء بضعة عشر صحابيا رووه عن النبى ﷺ . أنظر ص ١٥٨ ط الخانجى بمصر .

وفى «أ» ثنتان . وهما صحيحان .

(٣) فى (ب) : وأورد . أما فى (أ) فكما هنا «إفراد» مع إسكان ميم «وجمع» ، وهو الرق لعدم القطع بأن ذلك من مراد الله تعالى ، كما يفيده التعبير بالمصدر ، أما التعبير بالفعل فإنه حكم بأن مراد الله كـذا ، لأن فيه تعيينا للفاعل .

(٤) فى (ب) : تفسير وبيان ، والصحيح ما هنا وما فى «أ» أيضا .

إستئنافاً بيانياً(٦)

٧ — (وفيها) وقوع المفرد موقع الجمع فى الطاغوت (٧) .

٨ — (وفيها) وقوع الماضى فى آمنوا و كفروا مرادا به الدوام .

٩ — (وفيها) وقوع [المضارع فى][1] يخرجهم ويخرجونهم مرادا به الاستمرار .

١٠ — (وفيها) التكرار فى خمسة مواضع ؛ الذين ومن والى والظلمات والنـــور .

١١ — (وفيها) الترديد (٨) ؛ فى يخرج [والفرق بينه وبين التكرار

(٦) ضابطه عند البيانيين أن يكون جملتان ثانيتهما جواب عن سؤال مقدر بينهما نشأ عن الأولى ففى الآية : كأن سائلا قال بعد قوله « ولى الذين آمنوا » ماذا يعمل الله لهم بولايته ؟ فأجيب : يخرجهم إلخ .

(٧) الطاغوت يطلق على المفرد والجمع بلفظ واحد ، لأنه فى الأصل مصدر كالطغيان فهو نظير رجال عدل ، ويجمع أيضا على طواغيت ، ونحو رجال عدل فيه مذاهب . أحدها أنه بولغ فيهم حتى كأنهم نفس العدل ، ثانيها أنه على حذف المضاف وإعطاء المضاف إليه حكمه من الإعراب ، والتقدير : ذوو عدل . فهو من مجاز الحذف نحو « واسأل القرية » أى أهلها . ثالثها . أن عدل بمعنى عادلون ففيه مجاز مرسل علاقته التعلق الاشتقاقى اى التعلق الخاص الحاصل بين المصدر والمشتقات كما هنا ، أو بين المشتقات وبعضها كما فى إطلاق اسم الفاعل وإرادة اسم المفعول أو العكس مثلا .

(٨) الفرق بين التكرار والترديد أن اللفظ المكرر فى التكرار

(١) الزيادة من نسختى « أ ، ب » .

أن الترديد علق فيه اللفظ الثانى بغير] ما علق به الأول ، وقد ذكر هذا النوع بعينه هنا أبو حيان[1]

١٢ — (وفيها) المبالغة فى [صيغة][2] ولى والطاغوت .

١٣ — (وفيها) العكس والتبديل فى قوله « من الظلمات إلى النور ومن النور إلى الظلمات »[3] .

١٤ — (وفيها) القلب والاختصاص فى لفظ الطاغوت على ما ذكره

معناه عين الأول وأما فى الترديد فمعناه غيره إذا الإخراج من النور غير الإخراج من الظلمات[4] .

---

(١) الزيادة ما بين القوسين المعقوفين من « أ » ، هذا وقد ذكره أبو حيان بعنوان التكرار وليس الترديد قال : والتكرار فى الاخراج لتباين تعليقهما ـ البحر جـ ٢ ص ٢٨٤ ـ ، وإذا كان السيوطى قد أصاب الاصطلاح البلاغى فى فى تسميته بالترديد إلا أنه قد أفاد كثيرا من تفسير أبى حيان للآية ، فقول أبى حيان ، والاخراج هنا إن كان حقيقة فيكون مختصا بمن كان كافرا ثم آمن ، وإن كان مجازا عن منع الله إياهم من دخولهم فى الظلمات . يشير إلى ما استنبطه السيوطى من استعمال اللفظ فى حقيقته ومجازه ، وقوله ، وجمعت الظلمات لاختلاف الضلالات ووجد النور لأن الايمان واحد . يشير إلى ما سماه السيوطى التفنن بالافراد والجمع بحسب المقام ، وكذا ما قاله فى التفسير ، والتقديم والتأخير ، والتعليل لتأخير الطاغوت . فقد قال أبو حيان : ولم يصدر الطاغوت إستهانة به وأنه مما ينبغى أن لا يجعل مقابلا لله تعالى ـ أنظر البحر جـ ٢ ص ٢٨٣ ، ٢٨٤ ط الرياض .

(٢) الزيادة من نسختى « أ ، ب » .

(٣) أنظر تحرير التحبير فى حديثه عن هذا النوع ص ٣٢٠ .

(٤) أنظر تحرير التحبير فى الفرق بينهما ص ٢٨٤ .

الزمخشرى فإنه قال فى قــوله تعـالى « والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها »[1] القلب للاختصاص بالنسبة إلى لفظ الطاغوت لأن وزنه على [فعول][2] فعلوت من "طغيان كملكوت ، ورحموت .

قلت : صوابه بتقديم اللام على العين ، فوزنه فلعوت(٩) ، ففيه مبالغات ؛ التسمية بالمصدر ، والبناء بناء المبالغة ، والقلب وهو الاختصاص إذ لا يطلق على غير الشيطان .

١٥ — (وفيها) الحصر بتعريف المبتدأ والخبر فى ثلاثة ، واضح ؛ الله ولى الذين آمنوا . أى لا ولى لهم غيره . وأولياؤهم الطاغوت ، أى لا غيره ، وأولئك أصحاب النار ، أى لا غيرهم . فالأولان حقيقيان والثانى يحتمل الحقيقى والمجازى(١٠) والثلاثة من قصر الصفه على

---

(٩) إيضاحه أن أصل المصدر طغيوت ، قدمت الياء على الغين فصار طيغوت ، ثم قلبت الياء ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها فصار طاغوت[4] .

(١٠) القصر المجازى هو الذى قصد به المبالغة كقولك : زيد العالم ، أى ، لا غيره . مبالغة فى علمه ، وعدم الاعتداد بعلم غيره ، ثم قوله ؛

---

(١) سورة الزمر الآية رقم « ١٧ » وأنظر الكشاف ج ٣ ص ٣٩٣ ط مصطفى الحلبى .

(٢) الزيادة من نسختى « أ ، ب » هـذا ووزن « فعلوت » على ما ذكر الزمخشرى أو « فعلوت » على ماذكر السيوطى ، وزن نادر فى العربية ولعله من بقايا العربية القديمة السامية ، وهذا هو الذى يؤذن به منعه من الصرف فان منعه الصرف لا علة له إلا العلمية والعجمة ، وجزم الراغب بأنه اسم اعجمى ، ولم يذكر فى كتب اللغة لذلك فعجمته عارضة وليس هو عجميا بالاصالة . اهـ تفسير التحرير والتنوير الطاهر بن عاشور ج ٢ ص ٤٧٤ .

الموصوف[1] .

١٦ — (وفيها) التأكيد بـ هم في قوله « هم فيها خالدون » .

١٧ — (وفيها) الاهتمام به حيث قدم ، والزمخشري يقول في مثل ذلك إنه يفيد الحصر ، ذكره في قوله « وبالآخرة هم يوقنون »[2] ،

والثاني . صوابه ؛ والثالث ، إذ هو المحتمل للمجاز ، فإن في « أولئك أصحاب » مبالغة من حيث إن النار فيها أيضا يعذب عصاة المؤمنين .

---

(١) يعني السيوطي : تعريف الخبر فإن المبتدأ لا يكون إلا معرفة بخلاف الخبر فالأصل فيه التنكير ، ويعبر البلاغيون عن ذلك بقولهم - عند ذكر طرق القصر - ويكون بتعريف المسند ويعنون به الخبر في الجملة الاسمية ، يقول التفتازاني في شرح تلخيص المفتاح عند حديثه عن تعريف المسند إليه : وإنما قدم هاهنا التعريف ، وفي المسند التنكير لأن الأصل في المسند إليه التعريف وفي المسند التنكير اهـ الورقة التاسعة من الملزمة الرابعة مخطوط خاص بمكتبي .

(٢) سورة البقرة الآيات « ٢ : ٤ » وأنظر الكشاف الزمخشري جـ ١ ص ١٤٦م ط مصطفى الحلبي .

عند تفسيره لقوله تعالى « وأولئك هم المفلحون » فقد قال : وفائدته الدلالة على أن الوارد بعده خبر لا صفة ، والتوكيد وإيجاب أن فائدة المسند ثابتة للمسند إليه دون غيره . أما في الموضع الذي ذكره السيوطي . فالقول بالحصر مفهوم قول الزمخشري هناك : وفي تقديم الآخرة وبناء يوقنون على هم . تعريض بأهل الكتاب وبما كانوا عليه من إثبات أمر الآخرة على خلاف حقيقته . اهـ ص ١٣٧ .

هذا وقد بنى السيوطي على إفادة هذا الأسلوب الحصر على رأي الزمخشري أن الكفار هم المخلدون في النار . مع أن الحصر قد يكون للمبالغة كما قال . ويتولد من هذا دلالة الآية على الاثنين الحقيق في « هم فيها خالدون » والمجازي في « أولئك أصحاب النار » .

وذكره الأصبهانى فى قوله « وماهم بخارجين من النار »[1] فيكون مفهومه هنا أن غيرهم من عصاة المؤمنين لا يخلدون فيها .

١٨ — (وفيها) الإشارة بـ أولئك على حد ما ذكروه فى قوله تعالى « أولئك على هدى من ربهم » من أنه جدير [بما يذكر][2] بعده (١١) .

---

(١١) من نكات ذكر المسند إليه معرفا بالإشارة « التنبيه على أن المشار إليه جدير بما يذكر بعد اسم الاشارة من الأوصاف نحو قوله تعالى « الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون ، والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون »[1] فعبر بلفظ أولئك دون هم ، إذ المقام للإضمار حيث تقدم لهم ذكر تنبيها على أنهم جديرون بكونهم على هدى من ربهم ، إذ اسم الاشارة يدل على كمال التمييز ، فكأنه قال . أولئك المؤمنون بالغيب المقيمون الصلاة إلخ استحقوا أن يكونوا على هدى من ربهم ، وكذا يقال فى « وأولئك هم المفلحون » .

— قال الزمخشرى : ونظيره ـ أى هذا التركيب ـ قولك : أحب رسول الله ﷺ الأنصار الذين قارعوا دونه وكشفوا الكرب عن وجهه أولئك أصحاب الجنة[3] ، هذا وعلى سبيل الاستطراد أذكر ما دار بين القوم فيما يتعلق بجملة « أولئك على هدى من ربهم » فإن لها تاريخا « جيدا »

---

(١) سورة البقرة الاية رقم « ١٦٧ » .

(٢) ما بين القوسين من « أ » وفى « ب » والمطبوعة « بما يذكره » وقد اخترت ما فى « أ » لما فى البناء للمفعول من عدم التصريح بأن ذلك مراد الله من الاية .

(٣) أنظر الكشاف جـ ١ ص ١٢٩ ط مصطفى الحلبى .

وذلك أن تيمور لنك التترى عقد مجلسا بسمرقند خاصا بالفحول من علمائها وعلماء غيرها ، وجرى فيه مباحثة بين الفاضلين سعد الدين التفتازانى والسيد الشريف الجرجانى ، وكان الحكم بينهما ، نعمان الدين الخوارزمى فانتصر للسيد على السعد[1] : وكان السعد مقدما عند تيمور لنك ، فبعد تلك المباحثة قدم عليه السيد فحزن السعد وما لبث أن مات ، وكان موضوع المباحثة هذه الآية ، فالسعد يقول : إن فيها استعارة تبعية تمثيلية معا ، والسيد ينفى اجتماع الاستعارتين ، فبما أن الاستعارة التمثيلية ما كان كل من طرفى التشبيه فيها هيئة منتزعة من عدة أمور ؛ يحتم السيد أن يكون ما يعبر به عن تلك الهيئة لفظا مركبا ، وحيث إن التبعية إنما تجرى فى المفرد ، فلا يصح عنده اجتماعها مع التمثيلية فى جملة ، إذ يقال حينئذ : إن فى الجملة استعارة مفردة مركبة ، وفى ذلك تناف ، لكنه أجاز أن يحذف بعض ألفاظ التمثيلية إذا كان المذكور يفهم منه المحذوف ، فقال فى الآية شبهت هيئة مركبة من المتقين والهدى وتمسكهم به بهيئة مركبة من الراكب والمركوب واعتلائه عليه ، قال : وعلى هذا كان ينبغى أن تذكر جميع الألفاظ الدالة على الهيئة الثانية ، ويراد بها الهيئة الأولى بأن يقال مثلا ، أولئك على رواحل من ربهم ، فيكون مجموع تلك الألفاظ استعارة تمثيلية ، كل واحد من طرفيها من مركب ، إلا أنه اقتصر فى الذكر على كلمة على ، لأن الاعتلاء هو العمدة فى تلك الهيئة ، إذ بعد ملاحظته تكون

(١) أشار الألوسى فى تفسيره - روح المعانى - إلى تلك الواقعة بقوله : وأول ما وقع بينهما فى مجلس تيمور وكان الحكم نعمان الخوارزمى المعتزلى ، لحكم - والظاهر أنه لأمر ما - للسيد السند ، والعلماء إلى اليوم فريقان فى ذلك ، ولا يزالون مختلفين فيه ، إلا أن الأكثر مع السعد . اهـ جـ ١ ص ١٢٤ ط دار إحياء التراث العربى - بيروت

١٩ — (وفيها) الخطاب العام فى «أولئك» [١٢] (إن كان الخطاب لغير معين، وإن كان لمعين)[١] فإن كان هو النبى ﷺ فهو إضمار لما فى

ملاحظة الهيئة اهـ فكلمة على حينئذ مستعملة فى حقيقتها لأنها جزء من ألفاظ المستعار المحذوفة، والتمثيلية لا مجاز فى شىء من ألفاظها بالاجماع وأما السعد فيجيز أن يكون ما يعبر به عن الهيئة المنتزعة من عدة أمور لفظا مفردا، ففى الآية على مذهبه استعارة تبعية من حيث تشبيه تمسك المتقين بالهدى باعتلاء الراكب على مركوبه، واستعارة على من المشبه به للمشبه، واستعارة تمثيلية لأن على تدل وحدها على تلك الهيئة الحاصلة بين الراكب والمركوب، وقد مال أكثر المحققين إلى مذهب السعد إذ تقدير السيد ألفاظا مقدرة لم يقم عليه دليل، ولو ذكر بإزاء لفظ هدى لكان الكلام مختلا. والحاصل أن فى الآية استعارة تبعية تمثيلية على مذهب السعد وتبعية فقط أو تمثيلية فقط على مذهب السيد، وزاد السيد أن فيها استعارة بالكناية؛ بتشبيه الهدى بالمركوب واستعارة المركوب له، وحذف ورمز بشىء من لوازمه وهو الاستعلاء.

(١٢) ضمير المخاطب موضوع فى الأصل لمعين، سواء كان مفردا أو جمعاً،

---

(١) ما بين القوسين من «ا» أما ما فى «ب» والمطبوعة فكان: فان كان الخطاب لمعين فان كان هو النبى ... ولعل الناسخ لـ «ب» وما نقلت عنه المطبوعة تساهل فى المحذوف فلم يذكره اكتفاء بدلالة الثانى عليه، مع ملاحظة أن النسخة المطبوعة تكاد تتفق مع نسخة «ب» فى كل شىء، ولو لم يقل ناشر المطبوعة بشارحها إنه نقلها من نسخة قديمة غيرها البلى لظن أن نسخه (ب) هى أصل المطبوعة. إذ أن نسخة (ب) بحالة جيدة، والله أعلم بالحقيقة.

الذهن ، ويحتمل أن يكون فيه التفات[14] (من قوله تعالى)[2] « ورفع بعضهم درجات » فإن المراد به النبي ﷺ ، ولم يقع له ذكر بعد ذلك لا بالخطاب ولا بغيره ، وإن كان للمؤمنين أو الكافرين ففيه نوعان ؛ التفات من الغيبة في الذين آمنوا ، (والذين كفروا)[3] ، وخطاب الجمع بصيغة المفرد ، ويزيد الثاني ثالثاً وهو الاشارة ؛ تعريضا بغباوة السامع بمعنى أنه لا يفهم الا المحسوس[4] على حد ما قالوه في أولئك آبائي . . (البيت)[5] .

وقد يخرج عن الأصل كما في قوله تعالى « ولو ترى إذ وقفوا على النار »[6] فإن الخطاب فيه لكل من يصلح للرؤية فهو مجاز مرسل علاقته الاطلاق .

(١٣) قال تعالى « تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات »[7] فقالوا : المراد بالبعض في « ورفع بعضهم درجات » النبي ﷺ ، وبعد هذه الآية ثلاث لم يذكر فيها ما يدل على اسمه الشريف ، وفي الرابعة التي نحن بصددها ، ذكر مخاطبا بأولئك ، فجاز أن يكون التفات بين بعضهم وأولئك من الغيبة إلى الخطاب لأن الاسم

---

(٢) الزيادة من (ا) .

(٣) الزيادة من نسختي (ا و ب) .

(٤) الصواب (المحس) لأنه اسم مفعول من الرباعي (أحس) كما قال سبحانه (فلما أحسوا بأسنا . . .) الاية رقم ١٢ من سورة الانبياء .

(٥) الزيادة من (ا) وهو يشير إلى قول الفرزدق : أولئك آبائي فجئني بمثلهم إذا جمعتنا يا جرير المجامع .

(٦) سورة الأنعام الاية رقم (٢٧) .

(٧) سورة البقرة الاية رقم (٢٥٣) .

٢٠ — (وفيها) المشاكلة (١٤)، والاستعارة التهكمية (١٥) في قوله «أولياؤهم» لأن الإخراج من النور إلى الظلمات صنع الأعداء لا الأولياء بدليل «إن الشيطان لكم عدو»(١) ففيه تهكم (بهم) (٢)، ومشاكلة لقوله (١٦) «(ولى) (٣) الذين آمنوا».

الظاهر من قبيل الغيبة، إذا فهمت ذلك ظهر لك أن عبارة السيوطي سقط منها لفظ «من» فلعلها كانت هكذا: ويحتمل أن يكون فيه التفات من «ورفع بعضهم درجات».

(١٤) المشاكلة ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه صحبته، فقوله: أولياؤهم الطاغوت معناه: أعداؤهم الطاغوت، فذكر أعداؤهم بلفظ أولياؤهم لوقوعه صحبة ولي المذكور قبله، فالمشاكلة مجاز مرسل علاقته المجاورة في الذكر، أي الوقوع في الصحبة، ثم بالاعتبار يكون في اللفظ مشاكلة واستعارة أو مجاز مرسل، ففي المثال المتقدم استعارة باعتبار تشبيه الأعداء بالأولياء تهكما، واستعارة لفظ الثاني للأول، ومشاكلة باعتبار أن الأعداء مذكور بلفظ غيره لوقوعه صحبته، ومثال المشاكلة والمجاز المرسل قوله تعالى «وجزاء سيئة سيئة مثلها»(٤) فإن معنى الأول المعصية، ومعنى الثاني جزاء المعصية، وهو ليس بسيئة فاستعملت السيئة مكان الجزاء لكونها سببه، ففيها مجاز مرسل علاقته السببية، ومن حيث إن الجزاء مذكور بلفظ غيره لوقوعه صحبته كان ثمة مشاكلة، ولا يلزم تأخير اللفظ الحاصل به المشاكلة عن

---

(١) سورة فاطر الاية رقم (٦).

(٢) ما بين القوسين من (أ) و في (ب): به وهو خطأ.

(٣) ما بين القوسين من نسخة (أ).

(٤) سورة الشورى رقم (٤٠).

مشاكله ، بل قد يتقدم عليه كما في قوله تعالى « فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم »(١) ، وقد يكون اللفظ الحاصل معه المشاكلة غير مذكور في الكلام وحينئذ تسمى المشاكلة تقديرية نحو قوله تعالى « قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا » إلى قوله « صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون »(٢) فإن صبغة الله منصوب بفعل محذوف وجوبا دل عليه قوله « آمنا » والتقدير : صبغنا الله بالإيمان صبغة . أي طهرنا به تطهيراً ، إذ الايمان يطهر النفوس فذكر تطهير الله بلفظ صبغة الله مشاكلة لمعنى آخر حاضر في الذهن ، وذلك أن النصارى كانوا يغمسون أولادهم في صبغ أصفر يسمى المعمودية ويعتقدون أنهم بذلك الانغماس تطهروا من كل دين غير النصرانية ، فأمر الله المؤمنين ان يقولوا للنصارى : صبغنا الله بالإيمان ولم نصبغ صبغتكم ، فلفظ ولم نصبغ صبغتكم هو المقدر ومعه حصلت المشاكلة .

ويجوز أن يكون في « صبغة الله » استعارة ، بأن يعتبر تشبيه التطهير بالايمان من الكفر بصبغ المغموس في الصبغ الحسي ، ووجه الشبه كما قال ابن يعقوب ظهور أثر كل منهما على ظاهر صاحبه فيظهر أثر التطهير على المؤمن حسا ومعنى بالعمل الصالح والأخلاق الطيبة كما يظهر أثر الصبغ على صاحبه .

(١٥) يقال في إجرائها : نزل التضاد منزلة التناسب تهكما واستهزاء فشبهت الاعداء بالأولياء لذلك ، واستعير لفظ الثاني للأول على سبيل

---

(١) سورة البقرة الاية رقم (١٩٤) .

(٢) سورة البقرة الايات رقم (١٣٦ : ١٣٨) .

٢١ — (وفيها) القول بالموجب(١) فى هذه الجملة، لأنهم لما ادعوا أن لهم أولياء تنصرهم . قال صحيح لهم أولياء ، ولكن أولياؤهم الطاغوت الذين هم أذل من أن ينصروا أنفسهم فضلا عن غيرهم .

٢٢ — (وفيها) الاطناب فى موضعين فى الذين آمنوا والذين كفروا إذا كان يقوم (مقامهما)(٢) المؤمنون والكافرون .

٢٣ — (وفيها) الحذف فى موضعين وهما : موصوف الذين ، وتقديره : القوم .

٢٤ — (وفيها) التتميم فى قوله هم فيها خالدون (إذ)(٣) لو اقتصر على أصحاب النار لاكتفى (به)(٤) فى استحقاقهم لها ، لكنه تمم بوصف خلودهم فيها الذى هو قدر زائد على الدخول .

٢٥ — (وفيها) الاكتفاء حيث ذكر وعيد الكافرين دون وعد المؤمنين .

الاستعارة التصريحية الأصلية .

(١٦) قد عرفت أن المشاكلة حاصلة مع لفظ « ولى » لا مع « الذين آمنوا » فلعله ساقط سهوا .

---

(١) عرفه البلاغيون بقولهم : رد الخصم كلام خصمه من فحوى كلامه ، بأن يعمد إلى كل كلمة مفردة من كلامه فيبنى عليها من لفظه ما يوجب عكس المعنى . انظر تحرير التحبير ص ٥٩٩ .

(٢) ما بين القوسين من (أ) . وفى (ب ، م) : مقامه .

(٣) ما بين القوسين من (ا . ب) . وفى المطبوعة (لأنه) .

(٤) الزيادة من نسختى (ا . ب) .

٢٦ — (وفيها) الاحتباك وهو أن تذكر جملتان ويحذف من كل ما أثبت نظيره فى الأخرى والتقدير هنا : الله ولى الذين آمنوا وهم أصحاب الجنة ، والذين كفروا ليس الله بولى لهم وأولئك أصحاب النار (فحذف من الأول ما أثبت نظيره فى الثانى وهو أصحاب الجنة) (١) ومن الثانى ما أثبت نظيره الأول وهو ولاية الله .

٢٧ — (وفيها) التغليب (١٧) فى أحد عشر موضعاً : الذين فى الموضعين ، وضمير آمنوا وكفروا ، وضمير « هم » فى المواضع الأربعة ، وخالدون لأنه شامل للذكور والاناث وغلب لفظ المذكر ، وفى أصحاب لأنه خاص بجمع المذكر ، وجمع المؤنث صواحب وصاحبات ، وفى الواو يخرجونهم لأن الطاغوت شامل للشيطان والأصنام ، وكل ما عبد من دون الله فغلب ضمير المذكر العاقل .

---

١٧ — التغليب ليس من باب الحقيقة قطعا لأن اللفظ مستعمل فى غير ما وضع له ، فلفظ الذين فى الآية موضوع فى الأصل لجمع العقلاء من الذكور ، لكنه فيها مراد منه الاناث أيضا ، ثم التغليب يكون من الجمع بين الحقيقة والمجاز ، ومن المجاز ، ومن عموم المجاز ، فالجمع بين الحقيقة والمجاز أن تنسب إلى اللفظ معنيين كل منهما على حدته ، أحدهما حقيق والآخر مجاز كالذكور والإناث بالنسبة إلى لفظ الذين ، فتقول : شبهت جمعية الإناث بجمعية الذكور بجامع أن كلا وليه الله مثلا ، واستعير اللفظ الدال على جمعية الذكور باعتبار هيئته لجمعية الاناث ثم أريد منه الذكور والاناث ، فالعلاقة معتبرة حينئذ بين بعض ما أريد باللفظ وبين البعض الآخر ، أى بين الذكور والاناث إذ هما شطرا ما أريد باللفظ ، وأما على

---

(١) الزيادة من نسخة (ا) ، واتفقت (ب و م) فى حذف ما بين القوسين .

كون التغليب من المجاز فتكون العلاقة معتبرة بين تمام ما أريد باللفظ وبين المعنى الحقيقي ، فتقول شبهت جمعية المشتركين لفظا بجمعية المشتركين لفظاومعنى ، أي شبهت الجمعية المكونة من الذكور والإناث بالجمعية المكونة من الذكور فقط ، واستعير المشبه به للمشبه ،وعموم المجاز أن تعتبر نقل لفظ الذين من الجمع المقيد أي جمع الذكور إلى مطلق جمع ، أي الى معنى كلى يشمل المعنى الحقيقي وغيره ، فالعلاقة حينئذ الإطلاق وهي معتبرة بين تمام المراد والمعنى الموضوع له اللفظ كما في سابقه . والمثنى كالجمع في جميع ما ذكر إلا أن نحو أبوين المقول على الأم والأب يلزم فيه إبتداء أن تشبه الأم بالأب لعلاقة المجاورة في الذهن أوالذكر ، ثم يجرى التجوز في هيئة التثنية كما أسلفنا ، والمشهور أن التجوز في المثنى والجمع أصلى في غير المشتق منهما ، تبعى في المشتق ، فمثال الجمع المشتق قوله تعالى - حكاية عن مريم - « وكانت من القانتين »(١) إذا المراد بالقانتين ما يعم القانتات أيضاً ، فتقول : شبه قنوت الإناث بقنوت الذكور ، واستعير الثانى الأول ، واشتق منه قانتين وأريد به الذكور والإناث بناء على الوجه الأول ، أي الجمع بين الحقيقة والمجاز ، أوشبه قنوت المشتركين لفظا بقنوت المشتركين لفظا ومعنى الخ على الوجه الثانى ، أو استعمل لفظ القنوت المطلق مكان المقيد ، واشتق منه لفظ الجمع على الوجه الثالث ، ومثال المثنى المشتق قانتين بفتح التاء إذا أريد به قانت وقانتة .

---

(١) سورة التحريم الآية رقم «١٢» .

٢٨ - (وفيها) الفرائد وهي الاتيان بلفظة فريدة لا يقوم غيرها مقامها ، وهي هنا في لفظتين ، الأولى : الولى ، لأنه لا يقوم غيره مقامه لما فيه من الاشعار بالخصوصية الزائدة والقرب المعنوى والمكانة والاعتناء بمصلحة المؤمن ، فإن الولى يطلق لغة وشرعا على القريب وخلاف الأجنبي ومن للولى به وصلة وقرابة أو نظر أو وصاية أو نحو ذلك ، ولفظ الناصر أو المعين أو المتولى مثلا لا يفيد ذلك لأن كلا مما ذكر قد يكون غريبا أجنبيا ، فأفاد بلفظ الولى أنه من يراعى مصلحة عبيده كما يرعى الولى مصلحة محاجيره .

والثانية (لفظة)(١) الطاغوت فإنها لا يقوم غيرها مقامها في الذم والقبح والبشاعة كما لا يخفى ، وانجررنا من هنا إلى أمر آخر وهو أنه ورد عن سعيد بن جبير أن الطاغوت بلسان الحبشة فيكون من المعرب ، وقد قرر (الخوبى)(٢) من فوائد وقوع المعرب في القرآن أن يكون دالا على معنى لا يوجد في الألفاظ العربية ما يؤدى معناه إلا بلفظ أطول منه كما بيناه في الإتقان ، وذلك تقرير لكون هذه اللفظة فريدة (٣) .

. . . .

(١) ما بين القوسين من « أ » وفي « ب ، م » لفظ .

(٢) ما بين القوسين من « أ » وهو : الخوبى بضم الخاء وفتح الواو وتشديد الباء شمس الدين أحمد بن خليل بن سعادة الخوبى الشافعي صاحب الامام فخر الدين الرازى ، كان فقيها مناظرا وأستاذا في الطب والحكمة توفي سنة ٦٣٨ هـ . وهو منسوب إلى خوى مدينة بأزربيجان ، انظر هامش الاتقان جـ ٢ صـ ١٢٧ نقلا عن شذرات الذهب (١٨٣/٥) .

(٣) في الاتقان (الطاغوت) هو الكاهن بلسان الحبشة ، ولم ينسب فيه إلى سعيد بن جبير أو أي أحد ، فلعل نسبتها هناك سقطت سهوا أو من الناسخ =

٢٩ - (وفيها) الاتساع(١٨) وهو أن يؤتى بكلمة متسع فيها .

٣٠ - (وفيها) التأويل فإن الولى يحتمل أن يكون بمعنى الناصر أو بمعنى المعين أو بمعنى المجير أو بمعنى المتولى لأمورهم(١) .

٣١ - (وفيها) استعمال اللفظ فى حقيقته ومجازه معا فى أربعة مواضع ، فإن آمنوا صادق بمن صدر منه الإيمان حقيقة ، وبمن أراد أن يؤمن (مجازا)(٢) ، وبمن كان فى الكفر ثم آمن

---

(١٨) أى يتسع فيها التأويل بحسب قوة الناظر وما يحتمل اللفظ وذلك هنا فى « ولى » ، « الطاغوت » .

= فيكمل من هنا ، وقوله : كابيناه فى الاتقان من أدلة توثيق نسبة الرسالة إليه - انظر الاتقان جـ ٢ صـ ١٢٨ ، ١٣٦ ويعنى بقوله (مجيره) الممنوعين من التصرف فى أموالهم لصغر أوسفه أو ما إلى ذلك . وهذا ونوع الفرائد مما اخترعه ابن أبى الاصبع من علماء القرن السابع ، ولم يسبق إليه كما يقول محقق كتابه تحرير التحبير ، وقد مثل له من القرآن الكريم بقوله تعالى : (فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا) سورة يوسف (٨٠) ، (حتى إذا فزع عن قلوبهم) سورة سبأ (٢٣) ، « يعلم خائنة الاعين وما تخفى الصدور » سورة غافر (١٩) .

انظر تحرير التحبير صـ ٥٧٧

(١) تبلغ معانيها كما فى معاجم اللغة ثمانية معان ، منها الحليف والجار والصاحب والعتيق والمعتق وابن العم . وهو والمولى بمعنى واحد

(٢) كما رأينا من نسخة (أ) مما أثبتناه بين القوسين ، لم تمسخها يد الناسخ إلى الحد الذى تصوره الشارح ، وإنما وقع التصحيف فى (ومجاز لمن) وصحتها هكذا (مجازا وبمن ..) والقسمة على أربعة كما ذكر السيوطى .

١ - من صدر منه الإيمان حقيقة فهو مؤمن حقيقة .

٢ - من أراد أن يؤمن فهو مؤمن مجازا . ٣ - من كان كافرا ثم آمن . =

(وبمن)(١) لم يكفر أصلا (١٩) ، والإخراج حقيقة فى الأول مجاز فى الثانى(٢٠) وكذا جملة كفروا .

٣٢ - (وفيها) الإبداع وهو استعمال لفظ لم يسبق المتكلم إليه وذلك هنا فى ستة مواضع ؛ اثنان حقيقيان وهما الإيمان والكفر فإنهما من الأسماء فإن الشرعية ، وأربعة مجازية وهما الظلمات والنور فى الموضعين ، فإن استعمالهما فى الكفر والإيمان شرعى أيضاً(٢) .

---

(١٩) هذه العبارة نسختها يد الناسخ - يعنى ما كان موجودا فى النسخة التى طبعها وهو : ومجاز ولمن كان فى الكفر .. إلخ - وصوابها هكذا فإن آمنوا صادق بمن أراد أن يؤمن مجازا ، وبمن صدر منه الإيمان حقيقة سواء كان فى الكفر ثم آمن أم لم يكفر أصلا(٤) .

(٢٠) لأن من أراد أن يؤمن ليس بمؤمن فإخراجه من الكفر حقيقة وأما من صدر منه الإيمان فإخراجه من الكفر مجاز بمعنى منعه من الدخول فيه ابتداء كما تقدم .

= ٤ - من لم يكفر أصلا .

فالأخيران اللذان اعتبرهما السيوطى (الثانى) إخراجهما مجازى ، وكون إخراج من لم يكفر أصلا مجازا ظاهر ، أما من كان كافرا ثم آمن - أى فى المستقبل - فإخراجه من الكفر مجاز أيضا باعتبار ما سيكون . أما من أراد أن يؤمن فإيمانه مجاز ، لكن إخراجه حقيقة ، ومن صدر منه الإيمان بعد الكفر إيمانه حقيقى وإخراجه حقيقى أيضا .

(١) ما بين القوسين من (أ) وفى (ب، م) : لمن .

(٢) هذه الألفاظ مما توسع القرآن الكريم فى مدلولاتها واتجه بها إلى معان جديدة غير تلك التى كانت تعرف بها عند العرب قبل نزوله . فهى ليست مخترعة اختراعا كبعض الألفاظ الأخرى التى لم تجر على لسان العرب من قبل الاسلام =

٣٣- (وفيها) الالتفات على رأى السكاكى فإنه لا يشترط فيه تقدم خلاف ؛ بل الالتفات عنده أن (تقع)(١) الغيبة مثلا فيما حقه التكلم (وإن)(٢) لم يتقدمها تكلم ، نحو (قول الخلفاء)(٣) أمير المؤمنين يأمرك بكذا مكان أنا آمرك(٤) . وهنا كان الموضع للتكلم بأن يقول : نحن أو أنا ولى الذين آمنوا ، فلما عدل إلى لفظ الجلالة ، كان التفاتا على رأيه .

. . . .

والقرآن ، كما يقول أبو حاتم الرازى المتوفى سنة ٣٥٢هـ فى كتابه « الزينة فى الكلمات الاسلامية العربية بتحقيق الدكتور إبراهيم أنيس فالابداع إذن فى نظر السيوطى هو فى استعمال هذه الالفاظ بهذه المعانى الشرعية ، لكن الابداع فى نظر البلاغيين غير ذلك ، فهو أن تكون المفردات متضمنة بديعا بحيث تأتى فى الآية الواحدة عدة ضروب من البديع بأكثر من مفرداتها ، أى يكون فى الكلمة الواحدة ضربان فصاعدا ، ويصرح ابن أبى الاصبع بأنه ما لم تكن كل كلمة بهذه المثابة فليس بابداع ، لكنه لم ير تحقق ذلك فيما استقراه من الكلام المنثور إلا فى قوله تعالى « وقيل يا أرض ابلعى ماءك » الآية ٤٤ من سورة هود فقد استخرج منها واحدا وعشرين ضربا من المحاسن غير ما يتكرر من ضروبها وعدد ألفاظها سبعة عشر لفظا ووافقه على تعريف الابداع بذلك الوطواط فى كتابه السحر فى دقائق الشعر ، ومثل له من الشعر العربى وغيره ، انظر تحرير التحبير ص ٦١١ : ٦١٣ ، فالابداع إذن فى احتواء الآية مع قلة ألفاظها على أضعاف عدد الالفاظ من ضروب البديع .

(١) ما بين القوسين من « أ ، ب » . وما فى المطبوعة : يقع

(٢ ، ٣) ما بين القوسين من (أ) وما فى المطبوعة ، (ب) : وإن ، قوله .

(٤) أخذ مذهبه من الامثلة التى ذكرها فى مفتاحه كقول امرىء القيس : تطاول ليلك بالأثمد ، فلم يصرح به . كما فى شرح التلخيص للتفتازانى الورقة ٧ من الملزمة ٩ مخطوط خاص .

٣٤ - (وفيها) التقسيم فى موضعين فإن الناس إما مؤمن إما كافر ولا ثالث لهما ، فهما كقوله « فمنهم شقى وسعيد »(١) والطرق إما نيرة أو مظلمة ولاثالث لهما .

٣٥ - (وفيها) الافتنان وهو الجمع بين فنين ، وهنا جمع بين مدح المؤمنين وذم الكافرين .

٣٦ - (وفيها) النزاهة وهى هجو خال عن الفحش ، ومافى الآية من ذم الكفار كذلك ، قالوا : وكل هجاء وقع فى القرآن فإنه كذلك(٢) .

٣٧ - (وفيها) المذهب الكلامى وتقريره : من آمن فالله وليه ، ومن كان الله وليه فهو مهتد (فالمؤمن مهتد)(٣) وهو المراد بقوله : يخرجهم إلى آخره (ومن كفر فوليه الطاغوت ومن كان الطاغوت وليه فهو ضال فالكافر ضال وهو المراد بقوله : يخرجونهم إلى آخره (٤)) .

٣٨ - (وفيها) إرسال المثل فإن كلامن الجملتين الأوليين يصلح أن يكون مثلا .

٣٩ - (وفيها) الاحتراس وهو تقييد الكلام بنكته تدفع وهما ما ،

. . . .

---

(١) سورة هود الآية رقم (١٠٥) .

(٢) مثل لها ابن أبى الإصبع بقوله تعالى : (وإذا دعـــوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم ..) الآيات (٤٨ : ٥٠) من سورة النور . وانظر تحرير التحبير ص ٥٨٥ ،

(٣) مابين القوسين من (أ) وانظر تحرير التحبير ص ١١٩ : ٢٢

(٤) الزيادة من (أ) . وبعد أن مثل ابن أبى الاصبع له بأمثلة أخرى قال قال : وعلى هذا فقس - الموضع السابق -

وذلك فى قوله (تعالى)(١) يخرجونهم من النور إلى الظلمات ، لأنه لما قيل أولياؤهم الطاغوت توهم متوهم (أنه لما كان لهم أولياء فقد يفعلون بهم كما يفعل ولى المؤمنين)(٢) بأحبابه فنفى ذلك بهذه الجملة .

٤٠ - (وفيها) الجناس الاشتقاقى(٢١) بين النور والنار .

٤١ - (وفيها) الجناس المطرف بين (نهم)(٣) و « هم » .

٤٢ - « وفيها » جناس محرف ناقص بين إلى وأولئك لأن الواو المكتوبة فى أولئك لا تظهر فى اللفظ .

٤٣ - (وفيها) جناس خطى ناقص بين أولياء وأولئك لأن أولئك (تكتب)(٤) بواو بعد الألف .

٤٤ - (وفيها) جناس مشوش بين « ولى » و « إلى »(٥) .

---

٢١ - هو كون الكلمتين المختلف معناهما راجعتين من حيث الاشتقاق إلى لفظ واحد كما فى الظلم والظلمة أيضا .

---

(١) ما بين القوسين من (أ)

(٢) الزيادة من (أ) وانظر تحرير التحبير حـ ٢ صـ ٢٤٥

هذا وقد جعل ابن أبى الإصبع إرسال المثل ملحقا بنوع التمثيل ومثل له بقوله تعالى . « صنع الله » الآية ١٨٨ من سورة النمل ، (ومن أحسن من الله صبغة) البقرة ١٣٨ وغير ذلك .

انظر تحرير التحبير ص ٢١٧

(٣) ما بين القوسين من (أ) .

(٤) ما بين القوسين من (أ) .

(٥) بيان هذه الأنواع من الجناس على هذا النحو من الإمام السيوطى هو فى حد ذاته لون من ألوان البديع ذلك الذى سماه التهذيب وفسره بأن يأتى الكلام مهذبا منقحا لا مجال للاعتراض فيه ، مما يدل على طول باعه فى البلاغة =

= أيضا، وكيف لا ومؤلفاته فيما بين منظوم ومنثور . انظر إليه في حديثه عن هذه الأنواع ، وانظر إلى الإمام الرازي في نهاية الإيجاز عند حديثه عما كان الاختلاف فيه واقعا في عدد الحروف ، كأن يذكر في إحدى الكلمتين حرف لايوجد في الثانية ، فقد ذكر أن هـــذا النوع هو المسمى بالمذيل ، وعلل هذه التسمية محقق الكتاب بأنها للاشارة إلى أن الزيادة في آخره كالذيل ، مع أن الرازي ذكر أن الزيادة قد تكون في أول الكلمة أو في وسطها أو في آخرها وأتى بمثال لكل قسم ، وذكر المحقق أيضا أنه يسمى الجناس الناقص والجناس المطرف مع أن الناقص هو الذي يختلف فيه الحرفان بالحركة فقط مع الاتفاق في عدد الحروف والمطرف ماكانت الزيادة في أحد طرفيه من الاول أومن الآخر ومن هنا تظهر دقة السيوطي في اختيار أسماء هذه الالوان من الجناس ، وهذا الجناس المشوش في الآية يسمى مثله عند الرازي الجناس اللاحق لأنه ما كان الاختلاف فيه بين حرفين غير متقاربين في المخرج ، أما المشوش عنده فما كان في قيدين كمليح البلاغة لبيق البراعة مما لم تتحد فيه عينا الكلمتين أولا ماهما . انظر ص ١٢٨ ، ١٣١ .

وقد ذكر ابن أبي الإصبع جناس التذييل تحت اسم تجنيس الترجيع ، قال: وهو الذي سماه التبريزي التجنيس الناقص وسماه قوم تجنيس التذييل ، وهو على الحقيقة الذي يوجد في إحدى كلمتيه حرف لايوجد في الأخرى ، وجميع حروف الاخرى موجود في الأولى ، وقسم في وسطها وقسم في آخرها ، وأتى بأمثلة بعضها مشترك بينه وبين الرازي ، كالساق والمساق في آية سورة القيامة ، وحد ابن أبي الإصبع الجناس المحرف بأنه ما كان الشكل فارقا بين الكلمتين، أو بعضهما كقوله تعالى (إن ربهم بهم) ـ العاديات (١١) - ، منذرين بكسر الذال وفتحها ، وحد المصحف بما كان النقط فارقا بين الكلمتين كيحسبون ويحسنون في آية سورة الكهف . والجناس المشوش عند السيوطي يدخـــل فيما يسمى عند ابن أبي الاصبع جناس التغاير الذي تختلف الكلمتان فيه بالاسمية والفعلية كما في الحديث : غفار غفر الله لها . انظر تحرير التحبير ص ١٠٤ : ١١٠ ط المجلس الأعلى تحقيق حفني شرف .

٤٥ - (وفيها) الوصل في جملة «والذين كفروا» لمناسبته بالذين آمنوا مناسبة التضاد .

٤٦ - (وفيها) الفصل في يخرجهم ويخرجونهم لأنهما استئنافيتان بيانيتان ، وفي أولئك أصحاب النار ، وفي هم فيها خالدون (لأنهما)(١) تأكيد للجملة قبلهما .

٤٧ - (وفيها) إيجاز القصر في موضعين لأن قوله يخرجهم من الظلمات إلى النور قائم مقـــام (يزيح)(٢) عنهم الريب والشكوك والوساوس والخواطر الرديئة والجزع والقلق والسخط وحب الدنيا، وغير ذلك من وجوه الضلالات والبدع وما أكثرها ويلقي في قلوبهم اليقين والرضا والصبر والتوكل والتفويض والتسليم(والزهد)(٣) والورع إلى غير ذلك من وجوه الاهتداء على كثرتها ، وكذا في الجملة الثانية .

٤٨ - (وفيها) المساواة في قوله تعالى «أولئك أصحاب النار» فإن لفظه طبق معناه .

٤٩ - (وفيها) البسط(٢٢) وهو (تكثير)(٤) اللفظ للمعنى بلا

---

٢٢ - ذكروا في علم المعاني أن من دواعي المسند إليه بسط الكلام

= هذا وعلى الرغم من أن هذه التسميات اصطلاحية ولامشاحة في الاصطلاح كما يقال ؛ إلا أن الاصطلاح الذي يشخص المعرف و يميزه عما عداه هو الذي يصطلحه النحرير من العلماء .

(١) مابين القوسين من (أ) .
(٢) مابين القوسين من (أ) .
(٣) ما بين القوسين من (أ) .
(٤) ما القوسين من (أ) .

حشو(١) فهو كالإطناب (لكنه خاص بالإطناب بالجمل وهو هنا فى جملتى الإخراج وقد تقدم أن فيها الإطناب)(٢) فى موضعين .

٥٠ - (وفيها) الانسجام وهو أن يكون الكلام (لخلوه من العقادة)(٣) كالماء المنسجم فى إنحداره ، ويكاد لسهولة تركيبه وعذوبة ألفاظه يسيل رقة (والآية كذلك بل)(٤) القرآن كله .

حيث يطلب طول المقام استعذابا له ، قالوا ولهذا يطال الكلام مع الأحباء ومثلوا لذلك بقوله تعالى حكاية عن موسى « هى عصاى » فقالوا ذكر لفظ هى لبسط الكلام بدليل أنه زاد فقال أتوكأ عليها إلخ ولعل هذا غير مراد هنا .

---

(١) هذا النوع هو بعينه الإطناب ، وهو المسمى بالتوسيع أيضاً عند ابن منقذ فى البديع له - ص ٥٩ - وقد عرف باسم البسط بأنه . أن يأتى المتكلم إلى المعنى الواحد الذى يمكنه الدلالة عليه باللفظ القليل ، فيدل عليه باللفظ الكثير ، ليضمن اللفظ معانى أخر يزيد بها الكلام حسنا ، لولا بسط ذلك الكلام بكثرة الألفاظ لم تحصل الزيادة ، ومن المثال الذى ذكره ابن أبى الإصبع فى تحرير التحبير يتضح أن الغرض منه الاتيان بمحاسن فى الكلام بديعية وبيانية ومعنوية ولهذا فالموضعان فى الآية هما شطرها الأول وشطرها الثانى ، فكان يمكن أن يقال : الله ولى الذين آمنوا وهم أصحاب الجنة والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت وهم أصحاب النار ، لكن جاءت الآية على هذا النحو لافادة هذه الألوان الوفيرة من البلاغة بأقسامها الثلاثة .

(٢) ما بين القوسين من نسخة (ا) .

(٣) ما بين القوسين من (أ) .

(٤) ما بين القوسين من (أ) هذا وقد عرفه ابن أبى الاصبع بقوله : أن يأتى الكلام متحدراً كتحدر الماء المنسجم سهولة سبك وعذوبة ألفاظ حتى يكون للجملة من المنثور والبيت من الموزون وقع فى النفوس ، وتأثير فى القلوب ما ليس لغيره مع خلوه من البديع - يعنى المتكلف المصنوع منه - وبعده عن

٥١ - (وفيها) ائتلاف اللفظ والمعنى وهو أن يـؤتى بألفاظ (مناسبة له)(١) إن (فخما ففخيمة)(٢) وإن رقيقا فرقيقة ، وألفاظ الآية كذلك فإن الجـلالة منها مفخمة لعظم الذات المقدسة ، ولفظ الطاغوت فخم لغلظ مسماه ،وكذا لفظ (كفروا لأن الراء من الحروف المفخمة بدليل منعها الإمالة وكذا لفظ)(٣) الظلمات وخالدون ، ولفظ الذين . وولى وآمنوا (رقيقان)(٤) ولفظ النور أرق من لفظ الظلمات مع ما فى المفرد من الخفة التى ليست فى الجمع .

٥٢ - (وفيها) الطرد والعكس وهو أن يؤتى بكلامين يقرر الأول بمنطوقه مفهوم الثانى وبالعكس: ولاشك أن منطوق الجملة الأولى مقرر لمفهوم الثانية وبالعكس(٥) .

. . . .

= التصنيع أ هـ تحرير التحبير ص ٤٢٩ : والاية كذلك ليس فيها كلمة نابية أو لفظ قلق والقرآن أيضاً .

(١) ما بين القوسين من (أ) .

(٢) ما بين القوسين من (ب) .

(٣) ما بين القوسين من (أ) .

(٤) ما بين القوسين من (أ)عرفه الامدى بقوله:أن تكون ألفاظ المعنى المطلوب ليس فيها لفظة غير لائقة بذلك المعنى . وهو عند السيوطى كما نرى أوضح وأبين أنظر تحرير التحبير ص ١٩٤ .

(٥) فيه الدلالة على المعنى فى كل جملة بطريق المنطوق والمفهوم ، ومجىء منطوق كل من الجملتين مفهوما فى الأخرى وبالعكس ، وبمثل هذا يرتفع توهم غير المراد خاصة عند المنطوق فقط . وقد مثل له ابن أبى الاصبع بقوله تعالى . (ما عليك من حسابهم من شىء ، وما من حسابك عليهم من شىء) الاية رقم (٥٢) من سورة الأنعام . وانظر تحرير التحبير ص ٣١٠ .

٥٣ - (وفيها) التمكين وهو أن تكون الفاصلة متمكنة مستقرة في محلها غير قلقة ولا مستدعاة ولا مستجلبة وفاصلة خالدون هنا كذلك .

٥٤ - (وفيها) (التسهيم)(١) ، وهو أن يكون ما قبل الفاصلة يدل عليها ، ولا شك أن لفظ الكفر يدل على أن الفاصلة للخلود في النار .

٥٥ - (وفيها) التشريع وهو أن يكون في أثناء الآية ما يصلح أن يكون فاصلة وذلك هنا في قوله في الجملة الأولى إلى النور و(قوله)(٢) في الثانية إلى الظلمات .

٥٦ - (وفيها) التهذيب وهو أن يكون الكلام مهذبا (منقحا)(٣) بحيث لا يكون للاعتراض فيه مجال . والآية والقرآن كله كذلك .

: : : . . . .

---

(١) ما بين القوسين من (أ) . ومثل له ابن أبي الاصبع بقوله تعالى (لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم . . .) المائدة (٨٩) ، (أفرأيتم ما تحرثون . .) الايات ٦٣:٦٥ الواقعة وانظر تحرير التحبير ص ٢٦٦ ، ٢٦٧ .

(٢) للزيادة من (أ) .

(٣) ما بين القوسين من (أ) وما في (ب ، م) مفخما . وما أثبته هو الأصح ، قال ابن الاصبع : واعلم أن التهذيب لا شاهد له يخصه لأنه وصف يعم كل كلام منقح محرر ، إلا أنا نلخص فيه ما يعرف به وهو أن نقول : كل كلام قيل فيه لو كان موضع هذه الكلمة غيرها ، أو لو تقدم هذا المتأخر ، أو تأخر هذا المتقدم . أو لو تمم هذا النقص ، أو تكمل هذا الوصف ، أو لو حذفت هذه اللفظة بتة ، أو لو طرح هذا البيت جملة ، أو لو وضح هذا المقصد أو تسهل هذا المطلب لكان الكلام أحسن والمعنى أبين ، فهو خال من التهذيب =

٥٧ - (وفيها) الاستتباع وهو الوصف بشيء على وجه يستتبع الوصف بآخر وهو هنا في موضعين ، فإنه وصف المؤمنين بولاية الله تعالى لهم على وجه (استتبع)(١) وصفهم بالهداية ، ووصف الكافرين بولاية الطاغوت على وجه استتبع وصفهم بالضلالة .

٥٨ - (ثم ظهر لي) أن يقال أن في قوله يخرجهم من الظلمات إلى النور (استعارة)(٢) مكنية تخييلية (٢٣) بأن يكون شبه المنتقل من الضلال إلى الهدى بمن كان كارا في مكان مظلم (تخرج)(٣) منه إلى مكان نير، فأثبت المشبه وحذف المشبه به ودل عليه بلازمه وهو الإخراج ، ويجوز أن (يكون ذلك) (٤) استعارة تمثيلية انتزع فيها وجه الشبه من متعدد كما ترى ويأتي ذلك في الجملة الثانية أيضاً .

---

٢٣ - نحو نطقت الحال ، شبهت الحال بمتكلم وحذف ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو النطق وإسناد النطق للحال يسمونه تخييلا ، أو استعارة تخييلية ، وهو في الحقيقة مجاز عقلي وتسميته استعارة لا بالمعنى المشهور بل من حيث إنه أسند إلى ما ليس له .

= صار من التنقيح والتأديب أ . هـ ، تحرير التحبير ص ٤٠٤ . هذا والذي ظهر لي أن نوعي التمكين والتشريع ، والآتي بعد وهو الاستتباع من اختراع الامام السيوطي ، إذ لا توجد هذه الأسماء في أجمع كتاب لأنواع البديع القديم منها وما كان من اختراع مؤلفه ، وهو كتاب تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن لابن أبي الأصبع المصري ، فقد تحدث فيه عن خمسة وعشرين ومائة نوع .

(١) الزيادة من (أ ، ب) .

(٢) الزيادة من (أ) .

(٣) ما بين القوسين من (أ) .

(٤) ما بين القوسين من (أ) .

٥٩ - (وظهر لى أيضاً) أن تأتى فيها التورية وذلك أنه ورد فى الحديث أن الناس يكونون يوم القيامة فى ظلمة ثم يرسل عليهم نور فيبقى نور المؤمن ويطفأ نور المنافق(١). وقد (تأول)(٢) بعضهم هذه الآية على ذلك، فعلى هذا يكون للنور والظلمات معنى حقيقى ومعنى مجازى والمجازى (هنا)(٣) هو القريب والحقيقى البعيد (وأريد البعيد)(٤).

٦٠ - (ويؤخذ)(٥) من هذا أن يكون فى الآية التلميح وهو الإشارة إلى قصة أو واقعة أو كائنة(٦) وقد يكون أريد من الآية المعنيان معاً كما هو عادة القرآن وبلاغته، وقد ورد «لكل حرف ظهر وبطن»(٧) فيكون فى الآية إستخدام على طريقة صاحب المفتاح نحو:

. . . .

---

(١) هذا الحديث بمعناه عند ابن أبى حاتم والطبرانى كما ذكر ابن كثير فى تفسيره - جـ ٨ ص ٤١ : ٤٤ - وقد نسبه ابن كثير والقرطبى فى تفسيريهما إلى ابن عباس ومجاهد والحسن البصرى والضحاك. أنظر ابن كثير جـ ٨ ص ١٩٧، والقرطبى جـ ٨، ص ٢٠١.

(٢) ما بين القوسين من (أ).

(٣) الزيادة من (أ).

(٤) الزيادة من (أ).

(٥) ما بين القوسين من (ب).

(٦) لعل هذا النوع هو المسمى عند ابن أبى الإصبع (الإشارة) فهو كما أورد تعريفه عن قدامة: أن يكون اللفظ القليل مشتملا على المعنى الكثير بإيماء أو لمحة تدل عليه. أنظر تحرير التحبير ص ٢٠٠ ويعنى السيوطى بالقصة أو الواقعة ما ورد فى الحديث الذى ذكره ورواه ابن أبى حاتم والطبرانى.

(٧) تلك جملة من حديث أخرجه ابن حاتم من طريق الضحاك عن ابن +

« لكل أجل كتاب(١) »(٢٤) ، وهو إطلاق لفظ له معنيان فيراد أن ؛ ويذكر معه لفظان كل لفظ يخدم معنى ، وهنا لما ذكر النور والظلمات، وأريد المعنيان ذكر لفظ يخدم المعنى الحقيقى وهو الإخراج فإنه حقيقة فى التحول عن الحيز والأمكنة ، ولفظ يخدم المعنى المجازى وهو لفظ الإيمان والكفر.

---

٢٤ - اعترض الكفار على النبى صلى الله عليه وسلم منها نسخ القرآن للكتب المنزلة قبله فنزل قوله تعالى « لكل أجل كتاب يمحو الله مايشاء ويثبت(١) فيجوز أن يكون المراد من لفظ كتاب ، الكتاب المنزل من السماء كالقرآن والإنجيل إلخ ، والمعنى لكل وقت كتاب حسب اقتضاء المصلحة ، ويجوز أن يراد به الحكم الشرعى وأن يراد المعنيان معا ، وهذه الآية مما كثرت فيه أقوال المفسرين ، والأظهر فى هذا النوع من الاستخدام قول أبى العلاء يرثى فقيها :

= عباس ولكن بهذا اللفظ [القرآن ذو شجون وفنون .... ومحكم ومتشابه وظهر وبطن فظهره التلاوة وبطنه التأويل فجالسوا به العلماء وجانبوا به السفهاء وقد أورد تلك الرواية المرحوم الدكتور محمد حسين الذهبى فى كتابه التفسير والمفسرون - جـ٢ ص٣٥٤ - فى مقام الاستدلال على أن الصحابة عرفوا التفسير الإشارى وقالوا به ، لكن السيوطى يقول فى الاتقان - جـ٤ ص٢٣٩ - عن هذه الطريق بأنها منقطعة لأن الضحاك لم يلق ابن عباس ، ويقول : وقد أخرج من هذه النسخة كثيراً ابن جرير وابن أبى حاتم ، وإن كان من رواية جويبر عن الضحاك فأشد ضعفاً ، لأن جويبراً شديد الضعف متروك . وذكر الذهبى رواية أخرى أخرجها الفريابى من رواية الحسن مرسلا عن رسول الله ﷺ أنه قال (لكل آية ظهر وبطن ، ولكل حد مطلع) - جـ ٢ ص٣٥٣ - فقد تكون هى المقصودة للسيوطى فان الاية من مدلولات الحرف . . فقد ذكرها السيوطى عند حديثه عن تفسير الصوفية (جـ ٤ ص٢٢٥) .

(١) سورة الرعد الآيتان رقم (٣٨، ٣٩) .

٦١ - «ثم ظهر لى، أن فى الآية اللف والنشر فى موضعين، أحدهما مرتب والآخر غير مرتب، فالأول فى «الله ولى الذين آمنوا يخرجهم» فإن (الضمير)(١) الأول فيه هو المستتر وهو راجع إلى الجلالة، والثانى وهو «هم» راجع إلى الذين، وهو على ترتيب اللفظ، والثانى قوله «يخرجونهم» فإن ضمير الواو راجع إلى الطاغوت وضمير «هم» راجع إلى الذين كفروا وهو على غير ترتيبه.

٦٢ - «ثم ظهر لى، أن قوله «أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون» عائد للذين كفروا والطاغوت معا، لا إلى الذين كفروا فقط، بدليل «إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون، لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها وكل فيها خالدون»(٢) فعلى هذا وقع فى الإشارة، وضمير «هم» لف بعد النشر، وهو نوع من اللف والنشر المجمل أشار إليه الزمخشرى فى بعض الآيات.

فهذا ما ظهر لى فى الآية من أنواع البلاغة، وكلها مما استخرجته

قصد الدهر من أبى حمزة الأواب * مولى حجا وخدن اقتصاد
وفقيها أفكاره شدن للنعـ * ـمان مالم يشده شعر زياد(٣)

فلفظ النعمان يراد به أبو حنيفة النعمان رضى الله عنه، والنعمان بن المنذر ملك الحيرة ويخدم الأول فقيها، والثانى شعر زياد أى النابغة وكان معروفا بمدحه.

---

(١) ١٠ بين القوسين من (أ).
(٢) سورة الأنبياء الآيتان (٩٨، ٩٩).
(٣) البيتان من مرثيته المشهورة فى الفقيه القاضى أبى حمزة التنوخى وهو من بنى عمومته ورفيق صباه، تلك التى ابتدأها بقوله:
غير مجد فى ملتى واعتقادى   نوح باك ولا ترنم شاد

بفكرى ، وبالتنزيل على قواعد علوم البلاغة ، ولم أر أحداً تعرض (لشىء)(١) من ذلك فى الآية إلا الموضع الذى نقلته عن أبى حيان فى الترديد والذى نقلته عن الزمخشرى فى الطاغوت ، وإلا الطباق فإن أبا حيان ذكره(٢) .

٦٣ - «ثم فى الآية ، مما يتعلق بعلم المعانى الإتيان بالجملة الإسمية فى أربع جمل لدلالتها على الثبوت والاستقرار فى ولاية الله وولاية الطاغوت واستحقاق النار والخلود . وبالفعلية فى أربع جمل لأن الإيمان والكفر والإخراج مما يحدث ويتجدد ، وفيه الإتيان فى المسند إليه أولا بالعلمية

. . . .

(١) ما بين القوسين من (أ) وما فى (ب ، م) : إلى شىء ، وما أثبته هو الصحيح ، يقال تعرض لفلان تصدى له - مختار الصحاح ص ٤٢٦ .

(٢) لم يكن ما ذكره الزمخشرى فى الطاغوت عند تفسيره لهذه الآية فى سورة البقرة ، وإنما عند تفسيره لآية سورة الزمر كما سبق ، ولذلك فليس عدم ذكر الزمخشرى لشىء مما استنبطه السيوطى من هذه الاية عند تفسيرها دليلا على سبق السيوطى وصحة دعواه (ولم أر أحد تعرض لشىء من ذلك فى الاية ، فقد ذكر الزمخشرى بعضا من هذه الاستنباطات فى مواضع أخر ، وانظر ما نقلناه عنه فيما سبق من فائدة فصل الضمير فى (وأولئك هم المفلحون) من الدلالة على التوكيد والحصر . . فلعله أكتفى بما ذكره فى تلك المواضع عن ذكره فى تفسير الاية التى معنا . وهكذا شأن المفسر للقرآن كله ، أما من يفرد السورة أو الاية بالتأليف فيعاب عليه التقصير فى ذكر كل ما يتعلق بها ، ولذلك فما يلام عليه السيوطى خاصة وقد أفرد هذه الاية بالتأليف - تركه التوفيق بين دلالة الاية على أن الكفار هم الخالدون فى النار وان المؤمنين لا يخلدون فيها خلافاً لمن خالف فى ذلك - كما يأتى بعد قليل - وبين ورود نفس هذا الاسلوب فى مرتكبى بعض الكبائر من المؤمنين ، وهو ما استدل به الزمخشرى على خلودهم فى النار أيضاً . فقد قال فى قوله تعالى (ومن عاد فأولئك أصحاب النار=

لإحضاره فى ذهن السامع أولا باسمه الخاص به والتبرك بذكره الكريم، وثانيا بالموصولية لاشتمال الصلة على معنى مناسب (للمرتب)(1) عليه، وثالثا بالإشارة (لما تقدم)(2) ورابعا بالضمير لأن المقام للغيبة .

٦٤ - (وفى الآية) من علم أصول الدين إثبات التوحيد (لله)(3) وحده ونفى كل ما يعبد من دونه .

٦٥ - «وفيها» (أنه)(4) لا واسطة بين المؤمن والكافر ولا بين الضلال والهدى خلافا للمعتزلة فيهما .

٦٦ - «وفيها» إثبات خلق الأفعال له فى يخرجهم خلافا للمعتزلة .

. . . .

هم فيها خالدون» الآية «٢٧٥» من سورة البقرة ، وهذا دليل بين على تخليد الفساق - الكشاف جـ ١ ص ٤٠٠ - إذ لايسلم للسيوطى الاستدلال إلا إذا خرج دليل المخالف على وجه يتفق وما توصل إليه . هذا وتصريح السيوطى من قبل فى الحصر بأنه قد يكون مجاز المبالغة يضعف من دلالة الآية على أن الكفار هم المخلدون فى النار فقط ، ومما يغفر للسيوطى هذا التقصير أنه يبحث الآية من جهة احتوائها على كثير من ألوان البلاغة ولو بالاحتمال دون دخول فى مناقشات ومناظرات عقائدية أو فقهية أو نحوية ، وشكر الله له صنيعه هذا فهو كالشمس تنير الطريق بكل المقاييس .

(1) ما بين القوسين من (ا) . ويقولون فى مثل هذا الموضع: التعبير بالموصول يشعر بعلية ما منه الاشتقاق ، فالتعبير هنا - إذن - بقوله «الذين كفروا» لترتيب «أصحاب النار هم فيها خالدون» ترتيب المعلول على العلة، أى أن السبب فى استحقاقهم ذلك أو العلة ، كفرهم .

(2) ما بين القوسين من «ا» .

(3) الزيادة بين القوسين من «ا ، ب» .

(4) الزيادة بين القوسين من «ا ، ب» .

٦٧ - وفيها إثبات الكسب لهم فى آمنوا وكفروا ويخرجونهم خلافا للجبرية .

٦٨ - « وفيها » أن الكفار مخلدون فى النار ، وأن (عصاة)(١) المؤمنين لايخلدون فيها خلافا لمن خالف فى ذلك .

٦٩ - (وفى الآية)(٢) من علم أصول الفقه جواز استعمال اللفظفى حقيقته ومجازه كما تقدم تقريره خلافا لمن منعه .

٧٠ - « وفيها » جواز وقوع المعرب فى القرآن .

٧١ - « وفيها » أن الموصول والمضاف إليه من صيغ العموم .

٧٢ - « وفيها » أن الغاية تدخل (فى المغيا)(٣) .

٧٣ - « فصل »(٤) (وفى الآية)(٥) من علم الفقه أنه لا يرث المسلم الكافر ولا عكسه ، ولا يلى كافر مسلمة ولا عكسه فى نكاح (ولا عقل)(٦) لأن ولى الله عدو لعدوه (فلا)(٧) موالاة بينهما ، فلا إرث ولا ولاية ولا تناصر .

. . . .

---

(١) الزيادة بين القوسين من « أ » .

(٢) ما بين القوسين من « أ ، ب » .

(٣) الزيادة بين القوسين من « أ » .

(٤) الزيادة بين القوسين من «ب» .

(٥) ما بين القوسين من « أ » .

(٦) ما بين القوسين من « أ » . والذى فى « ب ، م » : « عقد » والمثبت هو الصحيح ، لأن العقد معروف من النكاح فهو المراد به إذ لا ولاية فى الفعل نفسه ، والمراد من المثبت : العاقلة . وهم القرابة من قبل الأب الذين يعطون دية من قتله خطأ - مختار الصحاح ص ٤٤٧ - .

(٧) ما بين القوسين من « ا » .

٧٤ - « وفيها » جواز هجرهم وذمهم وغيبة من يتظاهر بما ذمه الشرع .

٧٥ - « وفى الآية » من علم النحو أن المضاف إلى (الضمير)(١) أعرف من المعرف باللام حيث جعل الأول مبتدأ مخبرا عنه بالثانى(٢) ، وأن « من » تأتى لابتداء الغاية فى غير المكان ، وأن الضمير يراعى فيه المعنى كما يراعى اللفظ ، وأن جمع القلة يستعمل مكان جمع الكثرة ، فان أصحاب من جموع القلة ، وكذا خالدون فإنه جمع سلامة غير محلى ،

، ، ، ، ، ، ، ، ، : . . .

(١) ما بين القوسين من « أ » .

(٢) قال أبو حيان : ثم عكس الإخبار فيه فابتدىء بقوله « أولياؤهم » وجعل الطاغوت خبرا كأن الطاغوت هو مجهول ، أعلم المخاطب بأن أولياء الكفار هو الطاغوت - أنظر البحر ج ٢ ص ٢٨٤ . - وهذه القاعدة المستنبطة من إعراب أبى حيان تتعارض مع ما قاله السيوطى فى الفقرة الرابعة من أن فى « أولياؤهم الطاغوت » تقديما وتأخيرا ، فقد قال مانصه : وقدم أولياؤهم على الطاغوت للاشارة الى أن الطاغوت شىء مجهول تحقيرا له ، فإن القاعدة النحوية جعل الأعرف مبتدأ والأخفى خبرا . فمفهوم هذا الكلام أن أولياؤهم مقدم من تاخير ، أى أنه خبر حقه التاخير ، ولكنه قدم تحقيرا للطاغوت بإحلاله مكانه ، وجعل الطاغوت مكان الأخفى مع أنه الأعرف فى الأصل ؟ .

فإما أن يقر السيوطى ما قاله فى التقديم والتأخير ، وحينئذ ، لا يكون فى الآية دليل على ان المضاف إلى المضمر أعرف من المعرف باللام ، بل يكون العكس هو الصحيح ، وإما أن أن يقر ما قاله هنا وما ارتآه أبو حيان وغيره فى إعراب الآية ، وحينئذ لا يكون هناك تقديم ولا تأخير فى هذا الموضع ، لأن التقديم البلاغى هو تقديم ما حقه التأخير ، والتاخير البلاغى تاخير ما حقه التقديم أما التقديم النحوى فعلى الأصل لا يسال عن علته ، وليس مظهرا من مظاهر الفصاحة كما يرى أبو حيان فى مقدمة تفسيره - ص ٩ ج ١ - وكما هو الواقع ، فليس كل متكلم تبعا لقواعد النحو فصيحا أو بليغا .

ومع ذلك أريد بهما الكثرة ، وأن معمول اسم الفاعل يجوز تقدمه عليه فإن « فيها » معمول خالدون .

٧٦ - « وفى الآية » من علم السلوك ، الانقطاع إلى الله وحده ، واتخاذه ولياً يعتصم به ، ويلجأ إليه فى كل مهمة ، ويسترزق ويستنصر ، ويستغاث ويستعان ، ويستغفر ويستعاذ به ، ويستمسك ويعرض عما سواه ، وتقطع العلائق (من)(٣) غيره ، (ولاتمتد الأطماع إلى خلافه)(٤) و (إنه) (٥) لا يحذر غيره ، وموالاة أحبابه وأوليائه ، ومعاداة من عاداهم ، وإكرامهم وتبجيلهم ، ومعرفة قدرهم ، والتخلى عن الأخلاق (الرديئة) (٦) ، والتحلى بالأخلاق (السنية) (٧) .

وفقنا الله بمنه وكرمه لامتثال أوامره واجتناب نواهيه .

(وصلى الله على سيد الخلق محمد وآله وصحبه أجمعين) (٨) .

(٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨) مابين القوسين فى هذه المواضع من « أ » وبعضه ساقط من « ب ، م » كما فى رقم (٤ ، ٥ ، ٨) وبعضه ذكر بلفظ غيره لايتفق والسياق والله تعالى أعلم .

د/ حمودة محمد داود

أهم المراجع المثبتة بالهامش

الكتاب	المؤلف	الطبعة
١ - القرآن الكريم		
٢ - الاتقان فى علوم القرآن	السيوطى	ط الهيئة المصرية العامة للكتاب
٣ - البحر المحيط	أبو حيان	ط الرياض - السعودية
٤ - تحرير التحبير فى صناعة الشعر والنثر وإعجاز القرآن	لابن أبى الاصبع	ط المجلس الأعلى للشئون الاسلامية
٥ - التحرير والتنوير	الطاهر بن عاشور	ط عيسى الحلبي بمصر
٦ - تفسير القرآن العظيم	ابن كثير	ط دار الشعب
٧ - التفسير والمفسرون	د . الذهبي	ط دار إحياء التراث العربى بيروت
٨ - توفيق الرحمن فى شرح أنواع من علوم القرآن	د . المؤلف	ط دار الكتب الدينية
٩ - الجامع لأحكام القرآن الكريم	القرطبي	ط دار إحياء التراث العربى بيروت
١٠ - حول إعجاز القرآن	ذ . المهارى	سلسلة الثقافة الاسلامية عدد (٤٤)
١١ - روح المعانى	الألوسى	ط دار إحياء التراث العربى بيروت
١٢ - الزينة فى الكلمات الاسلامية العربية	أبو حاتم الرازى	
١٣ - شرح تلخيص المفتاح	التفتازانى	مخطوط

١٤ ـ الشفا فى التعريف بحقوق المصطفى	القاضى عياض	ط دار التراث بمصر
١٥ ـ الكشاف	الزمخشرى	ط مصطفى الحلبى
١٦ ـ المقاصد الحسنة	السخاوى	ط الخانجى بمصر
١٧ ـ نهاية الإيجاز فى دراية الإعجاز	الرازى	ط دار العلم للملايين ـ بيروت

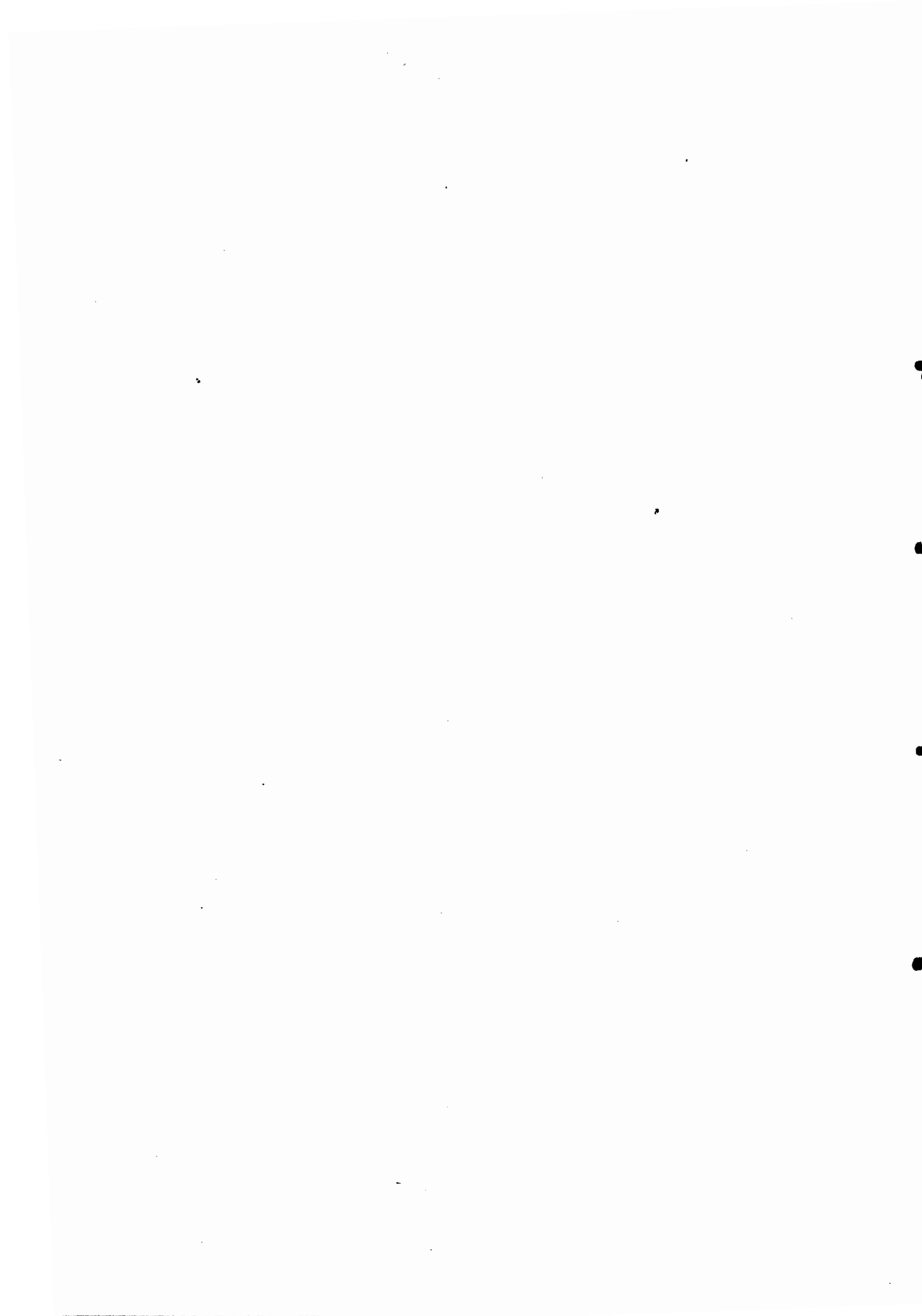
محتويات الحولية الخامسة

رقم مسلسل	الموضوع	رقم الصحيفة

مقالات فى اللغة والأدب

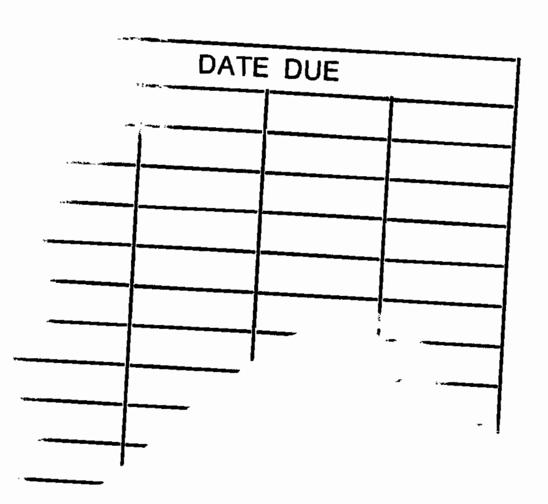
مقالات تاريخية

تحقيق التراث



رقم الإيداع / ٦١٩٤ / ١٩٨٧

دار العاصمة للطباعة
سامي عبد اللطيف وأولاده


DATE DUE

